

الحركات المهدوية في العراق التحولات، والأبعاد السياسية

م. د. نصيف جاسم عاتي

كلية التربية / جامعة ميسان

المقدمة:

لقضية الامام المهدي (ع)، في التاريخ الشيعي وجود قديم يمثل حجر الزاوية لدى الاثني عشرية منهم الذين يعدون العقيدة المهدوية اصلا من اصول الدين وعليها تتمحور عقائدهم وافكارهم ابتداءً من العبادات وانتهاءً بالسياسة، لكن هذا المفهوم بات يطلق اليوم على الحركات التي تدعي بالعقيدة المهدوية او التي تسعى للتعجيل بظهوره التي بدأت في الظهور في السنوات الاخيرة على شكل دعوات وشبهات حول موضوع الامام المهدي المنتظر انطلقت من بعض الدول والمذاهب الاسلامية بشكل عام .

وفي العراق شكل ظهور الحركات المهدوية بعد ٢٠٠٣ ملمحا بارزا من ملامح المشهد العراقي خصوصا مع اتخاذها اساليب مختلفة في الترويج لافكارها واهدافها، ومن الغريب بالامر ان يظهر ادعاء الامام المهدي (عج)، من شخصيات هامشية وفي اجواء تسودها الصراعات والفتن، وقد اجمع المراقبون على ان بروز هذه الحركات كان ولا يزال يشكل خطرا على المذهب الشيعي وعلى قضية الامام المهدي نفسها ومدى التقاف شعبي حولها، الامر الذي افرز اشكالية كبيرة ليس على المستوى الديني فحسب، بل على المستويات كافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاقليمية، وذلك نظرا لحجم التأثير التي تمتلكه هذه الحركات واسلوبها المسلح في ادارة المواقف في مجتمع يحوي تنوعا ثقافيا، ويمر بتحولات جذرية اجتماعية وسياسية خطيرة، رافقتها مظاهر سلبية كثيرة مثل زعزعة الامن نتيجة التصادم المسلح الذي يحدث في الغالب بين هذه الحركات من جهة، وبينها وبين الحكومات من جهة اخرى، وتراجع الاعداد والخدمات، وانتشار البطالة، وبقاء احوال الطبقات الشعبية في حرمانها ومعاناتها، واجهض بالتالي عملية بناء الدولة المدنية الحديثة القادرة على تقديم نموذج حكومي حديث يمكن ان يعول عليه في تحقيق الرفاه والرخاء لكل فئات المجتمع في العراق. ونظرا لخطورة هذه الحركات وتنامي مشكلاتها، جاءت هذه الدراسة في محاولة لتوصيف هذه الحركات، والوقوف على تحولاتها وابعادها السياسية في العراق اليوم.

المبحث الاول

الاطار العام للدراسة

يتضمن هذا المبحث تبيان النقاط الجوهرية التي تقوم عليها الدراسة وتتمثل في اطارها العام الذي تم تلخيصه فيمحولين: المحور الاول، يتضمن ابعاد الدراسة او عناصرها الاساسية، والمحور الثاني، يتضمن المفاهيم العامة للدراسة، وهي على النحو الاتي:

اولاً:عناصر الدراسة

١. مشكلة الدراسة

تدور مشكلة هذه الدراسة حول كثرة ظاهرة تشكل الحركات الاجتماعية التي تدعي قضية الامام المهدي المنتظر (ع)، وانتسابها له أو لاحد سفرائه، وتحولاتها الفكرية والاجتماعية وابعادها السياسية على المجتمع والدولة في العراق، والمهدي المنتظر لدى المسلمين من اتباع المذهب الشيعي^(٥)، وخصوصاً الاثني عشرية منهم، اصل من اصول الدين الاسلامي، وعقيدته، قضية جوهرية لديهم، رغم غيابه في الوقت الحاضر بإرادة الهية، وعليها تتمحور اغلب عقائدهم وافكارهم، ابتداءً من العبادات وانتهاءً بالسياسة والاقتصاد.

وطبقاً لهذا الوصف، فإن الشيعة بالمعنى اللفظي الواسع هم اتباع العقيدة المهدوية، وقد زاد من انجذابهم وتمسكهم بقوة بهذه العقيدة، الاعتقاد بتكليف الامام المهدي المنتظر الالهي في تحقيق الخلاص ونشر العدل بين البشر، الا ان الاشكالية برزت عندما بدأت تظهر كثير من الجماعات والحركات على مر التاريخ وطوال مدة

(٥) في معظم الأديان لا يكون المحدد الاول للهوية في اتباع صحيح الدين والعقيدة، بالرغم من اهميتها، بل الأهم هو الولاء والامتنال لجماعة تؤمن بمعتقدات وطقوس معينة داخل الدين الواحد، الامر الذي يجعل الدين يتخذ (صيغة مذهبية) تكون فيها هوية الجماعة فعالة وذات أثر كبير، بمعنى أن الدين ينقسم بفعل تطوره على مدارس تسمى في العربية الدارجة (شيعاً ومذاهب) تسمح ببروز ظاهرة التنوع المذهبي، وليس ثمة دين يخلو من هذه الانقسامات القائمة على تنوع التأويل، وتنوع الرؤى والمصالح والمشارب.

لغويًا، يعرف المذهب، الطريق والسبيل، وفي اللغة اللاتينية doctrina، يعني مجموعة من التعاليم التي تدرس المبادئ أو المواقف، أو كجانب من التعاليم في فرع من فروع المعرفة أو المعتقد، وفي اللغة الإنجليزية Doctrine، يعني العقيدة التي يتم تدريسها على أساس مؤسسات، لتعليم أفرادها الطرائق الداخلية للقيام بالأعمال. اما اصطلاحاً، فيستعمل المذهب للدلالة على معاني كثيرة، ففي كثير من الأحيان يشير الى مجموعة المبادئ الدينية، سواءً في العقيدة أم في الفقه أم في أصول الفقه، أو للإشارة إلى مبدأ من مبادئ القانون، أو للإبداعات الشخصية.

وعرف المعجم الوسيط المذهب، أنه الآراء والنظريات العلمية والفلسفية المرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً يجعلها وحده منسقة. وعرفته موسوعة علم الاجتماع، أنه اعتناق جماعة من البشر لمبدأ أو رؤية خاصة بهم مما يجعل لهم مصالح مشتركة، اجتماعية وسياسية، واقتصادية، تختلف من مجموعة لأخرى وتكون، فوق ذلك، متعارضة.

اما المذهب الشيعي، فيعني بالمعنى العام الأتباع، أو الأنصار، وفي الجماعة الإسلامية، هم كل من يوالي علي بن أبي طالب (ع) وأهل بيته، ويقول بأحقية الإمامة، وقيادة الأمة الإسلامية بعد الرسول (ص)، وهي إحدى التيارات الأساسية في الإسلام التي تختلف الآراء حول تاريخ ظهورها، وتتراوح نسبة المسلمين الشيعة اليوم ١٠% إلى ١٥% من إجمالي عدد المسلمين في العالم، وهم فرق ومذاهب، منها الاثني عشرية، أو الأمامية، والإسماعيلية، والزيدية.

والعراق هو البلد الاصلي للشيعة، وكان يتطابق مع ما هو اليوم موطن للشيعة، فالإمام علي اتخذ من العراق، والكوفة تحديداً مركزاً لخلافته، وأستشهد ودفن فيها، وبعد ذلك عاش في العراق معظم أئمة الشيعة، ودفنوا فيه بعد استشهادهم، الامر الذي جعل من قبورهم في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء اهم المراكز الشيعية في العالم، ومقرراً لاهم المراجع والمجتهدين الشيعة، إذ توجد الحوزة العلمية في مدينة النجف، أكبر جامعة دينية للشيعة في العالم. اقتبست بتصريف من: نصيف جاسم عاتي، التنوع الثقافي وبناء الدولة المدنية في العراق، دراسة سوسيولوجية ميدانية، اطروحة دكتوراه غير منشورة من جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٦.

غياب الامام المهدي من داخل وخارج صفوف الشيعة والدين الاسلامي التي تدعي الامام المهدي أو تسعى للتمهيد لظهور، وظهور عدة شخصيات، تقدم نفسها على انها الامام المهدي نفسه أو احد سفرائه، أو قريب له، بيد ان افراد الشيعة الاعتقاد بشخصية الامام المهدي وابيه وامه وولادته وغيبته، لم يمنع الاخرين من انتحال شخصيته سواء بالادعاء لأنفسهم أو باعتقاد عدد من الحركات بان المهدي هو زعيمهم، الامر الذي اسهم بشكل كبير في تعدد هذه الحركات وتتنوع مرجعياتها واهدافها وانتشارها الذي ترك أثراً سلبية واضحة على قضية الامام المهدي نفسها من جهة، وعلى واقع الاجتماع السياسي بشكل عام من جهة اخرى.

فعلى الرغم من وجود فكرة الحركات المهدوية في التاريخ الشيعي وغير الشيعي، الا ان كثرتها وانتشارها في العراق اليوم، قد افرز اشكالية كبيرة ليس على المستوى الديني فحسب، بل على المستويات كافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاقليمية، وذلك نظرا لحجم التأثير التي تمتلكه هذه الحركات واسلوبها المسلح في ادارة المواقف في مجتمع يحوي تنوعا ثقافيا، ويمر بتحولات جذرية اجتماعية وسياسية خطيرة، الامر الذي افرز مظاهر سلبية كثيرة مثل زعزعة الامن نتيجة التصادم المسلح الذي يحدث في الغالب بين هذه الحركات من جهة، وبينها وبين الحكومات من جهة اخرى، وتراجع الاعمار والخدمات، وانتشار البطالة، وبقاء احوال الطبقات الشعبية في حرمانها ومعاناتها، واجهض بالتالي عملية بناء الدولة المدنية الحديثة القادرة على تقديم نموذج حكومي حديث يمكن ان يعول عليه في تحقيق الرفاه والرخاء لكل فئات المجتمع في العراق.

وعليه، سأحاول في هذه الدراسة مناقشة هذه الاشكالية من خلال توصيف الحركات المهدوية وتحولاتها الفكرية والاجتماعية وابعادها السياسية على واقع الاجتماع السياسي في العراق بعد ٢٠٠٣، وذلك عبر تفكيكها الى عدد من التساؤلات الفرعية الآتية :

١. ما المقصود بالحركات بشكل عام؟ وما المقصود بالحركات المهدوية؟
٢. ما الاطر النظرية التي حاولت تفسيرها؟
٣. ما التحولات الفكرية والاجتماعية التي طرأت عليها ؟ وكيف تكونت ؟ ؟
٤. ما الابعاد السياسية التي تتركها على الوضع السياسي الراهن في العراق؟

٢. اهمية الدراسة

تأتي اهمية الدراسة كونها تتناول احدى الموضوعات التي تعد قضية الهوية تمثل إرادة الله، وتعتمد فكرة (المنقذ) التي ترتبط بأطروحة الامام المهدي المنتظر، وهي محل اتفاق جميع المسلمين، وعقيدة اساسية في الدين

الإسلامي، وعقائد الأديان الأخرى، فهي لا تختص بطائفة معينة من البشر ولا بمنطقة من الأرض دون أخرى، بل هي قضية عالمية تبشر بأمل حياة سعيدة تنتظر الإنسانية في المستقبل حتى ترتقي بهم إلى الرشد والكمال في جميع المجالات الروحية والمادية من خلال قيادة موحدة لجميع شعوب الأرض في دولة واحدة عظيمه تدين بالدين الإسلامي، وتتلخص أهمية الدراسة العلمية والتطبيقية في النقاط الآتية:

١. عالمية عقيدة الإمام المهدي، وأصالتها في روافد التراث الإنساني، الدين والفلسفة والتاريخ والاجتماع السياسي وفي النظريات الوضعية، وتميزها بأنها ترسم نهاية سعيدة ومشرفة لتاريخ البشرية، وإنها المحطة الأخيرة التي سيصل لها الإنسان في مسيرته المستقبلية.

٢. ظهور في الآونة الأخيرة كثير من الحركات والجماعات التي تدعي الأطروحة المهدوية من بعض أفراد العامة من الشيعة والسنة ومن عدة دول إسلامية، وما تشكله هذه الظاهرة من خطورة على عقيدة الإمام المهدي نفسها من جهة، وعلى المجتمعات الإسلامية عامة من جهة أخرى.

٣. محاولة فك اللبس وتبيان حقيقة الفروق بين عقيدة الإمام المهدي، والحركات والجماعات التي تدعي المهدوية من خلال كشف أصول هذه الحركات ومرجعياتها وتحولاتها الاجتماعية وظروف تشكل معتقداتها.

٤. محاولة الوقوف على الآثار والابعاد السياسية للحركات المهدوية على واقع الاجتماع السياسي في العراق اليوم، وتوصيف مدى قبول العراقيين لحرية المعتقدات.

وعليه، فإن الأهمية العلمية للدراسة تبرز في محاولته تحديد إطار مرجعي يمكن الاستناد إليه عند الحديث عن الحركات المهدوية في العراق، زيادة على أن البحث في ظاهرة برزت في المجتمع العراقي وكثير من دول العالم، يمثل إضافة علمية للفكر السوسيولوجي العراقي الذي يفتقر لتصنيف وتعريف جدي وواضح لمفاهيم الحركات الاجتماعية والدينية وعلاقتها بالأوضاع السياسية.

أما الأهمية التطبيقية للدراسة، فتأتي من دعوتها للجماعات والحركات نفسها، الاطلاع على معتقداتها والأهداف التي تنادي بها وخصائصها وسماتها المميزة وبما يسمح بإجراء الموازنات فيما بينها، وذلك لكشف المعوقات والسلبيات ووضع الحلول لتحقيق الاستقرار السياسي، والحد من عوامل الصراع.

٣. أهداف الدراسة

نتوخى في دراسة هذا الموضوع، تحقيق هدف رئيسي يتمثل بتوصيف الحركات المهدوية وطبيعة علاقتها بعقيدة الامام المهدي وتحولاتها وابعادها السياسية في العراق، وذلك من خلال الادبيات العلمية المتوفرة عن هذه الحركات وعقائدها ومرجعياتها الدينية، وبما أنّ هذا الهدف يُعدّ هدفاً عاماً وشاملاً، لذا سنحاول تحقيقه من خلال الاهداف الفرعية الآتية:

١. التعرف على ماهية اطروحة الامام المهدي المنتظر في التراث الاسلامي والشيوعي.
٢. التعرف على الحركات المهدوية التي تدعي بانها تمثل الامام المهدي او النيابة عنه.
٣. محاولة كشف اصول الحركات المهدوية ومرجعياتها وتحولاتها الاجتماعية.
٤. محاولة فك اللبس والادعاء بين اطروحة الامام المهدي والحركات المدعية له.
٥. محاولة التعرف على الابعاد السياسية للحركات المهدوية في العراق بعد عام ٢٠٠٣.

٤. مجالات الدراسة

لقد تم اختيار نطاق زمني ومكاني للدراسة، ففيما يتعلق بالنطاق الزمني، فقد تناولت الدراسة موضوع عقيدة الامام المهدي المنتظر بالبحث والاستقصاء منذ الغيبة الاولى للأمام الى يومنا هذا، اما النطاق المكاني، فتناولت الدراسة معظم المجتمعات الاسلامية التي ظهرت فيها الادعاءات والحركات المهدوية مع التركيز على حالة العراق القديم والحديث.

٥. منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة في مناقشة هذه الاشكالية على عدة مناهج: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، فالمنهج الوصفي والتاريخي عملا على توصيف السياق التاريخي لقضية الامام المهدي، والحركات المدعية بالمهدوية على مر التاريخ وتحولاتها الفكرية والاجتماعية، اما المنهج التحليلي، فعمل على تحليل نظريات الحركات الاجتماعية بشكل عام والحركات المهدوية بشكل خاص، وتوضيح اهم مفاهيمها وقواعدها في التفسير، زيادة على الوقوف على مواضع الضعف والقوة في نظرية الامام وكيفية تطبيقها على الدراسة.

ثانيا: المفاهيم العامة للدراسة

ورد في عنوان هذه الدراسة وإطار الإجابة عن أسئلتها، مجموعة من المفاهيم والمصطلحات العلمية التي لعبت دوراً رئيساً في تحديد مشكلة الدراسة وأهدافها، ومن أجل تكون هذه المفاهيم مفهومة ومتناسقة مع مضمون الاشكالية المطروحة حرصنا ابتداءً على تعريفها لغوياً واصطلاحياً وفق المعايير المنهجية والعلمية التي تخضع لها البحوث في علم الاجتماع.

المفهوم الرئيس المساق في الدراسة يعد من المفاهيم التأويلية المركبة وهو [الحركات المهدوية] وهو في هذا الوصف يتضمن أو يرتبط بعدة مفاهيم رئيسية وفرعية أخرى، نحاول في هذا الإطار تفكيكها وإرجاعها إلى أصولها مع تبيان التأويلات الاصطلاحية التي طرأت عليها.

١. مفهوم الحركات الاجتماعية

كلمة الحركة في اللغة، هي انتقال الجسم من مكان إلى آخر، أو انتقال أجزائه، وجمعها، حركات، وفعلها، حرك، وهو الخروج من السكون، والحركة، كل مظهر من مظاهر النشاط وهي قد تكون ثقافية، اجتماعية، سياسية، تحريرية، نقابية، سياحية، ثورية، إصلاحية^(١).

أما اصطلاحاً، فالحركة في معناها البديهي والعام، تعد مفهوماً قديماً يعكس تاريخ طويل من النضال والتنازع، لكنها عادت اليوم لتطرح نفسها بقوة على واقعنا الاجتماعي بصور مختلفة، لهذا تأججت رغبتنا في محاولة الوقوف على ممارسات هذه الحركات وابعادها الحقيقية في السياسة والاجتماع.

إلا أن الاسهام بما يُقصد به يتطلب التركيز على ماهية الحركات الاجتماعية بشكل عام بوصفها شكل من أشكال العمل الاجتماعي والسياسي الجماعي الذي نحن بصدد دراسته.

لاحظنا عند استعراض الكتابات المفسرة لمفهوم الحركة أن معظم الذين أسهموا في تقديم تعريف لهذا المفهوم أجمعوا على المعنى الاجتماعي له، نظراً لتضمنه عدد من العناصر، هذه العناصر هي: جهود منظمة، مجموعة من المشاركين، أهداف، سياسات، أوضاع، تغيير، مكونات فكرية محركة، ووسائل تعبئة، وعلى هذا الأساس، فالحركات في أي مجال سواء كان دينياً أم سياسياً أم اقتصادياً أم علمياً أم رياضياً أم فنياً، تأخذ بشكل تأويلي المسمى الاجتماعي، ويطلق عليها الحركات الاجتماعية^(٢) ويقصد بها كل الجهود المنظمة التي يبذلها مجموعة من المواطنين بهدف تغيير الأوضاع، أو السياسات، أو الهياكل القائمة^(٣).

^(١) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ط٣، ٣١٧/١، ١٩٩٨، ص ٢٠. وكذلك، معجم المعاني الجامع، محمد المهدي، مقال منشور على الرابط : www.almaany.com.dict.ar ، تاريخ الاقتباس: ٢٠١٧/٦/٣٠.

^(٢) إبراهيم غانم البيومي ، الحركات الاجتماعية.. تحولات البنية وانفتاح المجال، ٨ مايو/ أيار ٢٠٠٤، منشور على الرابط:

وفي اشارة للمعنى الاجتماعي للحركات عرفت ايضا بانها القيام بعدد من الانشطة للدفاع عن مبدأ ما، او للوصول الى هدف ما، وتتضمن وجود اتجاه عام للتغيير، وهي تشمل ايضا مجموعات من البشر يحملون عقيدة أو افكار مشتركة، ويحاولون تحقيق بعض الاهداف العامة، كما يمكن تعريف الحركة الاجتماعية ايضا، بالمحاولة القصدية للتدخل في عملية التغيير الاجتماعي، وهي تتكون من مجموعة من الناس يندرجون في أنشطة محددة، ويستعملون خطابا يستهدف تغيير المجتمع، كما يقترن مفهوم الحركة الاجتماعية بمفهوم القوة الاجتماعية، والقدرة على التأثير واحداث التغيير^(٣).

ومن اهم التعريفات التي قدمها العلماء للحركات الاجتماعية تعريف عالم الاجتماع الفرنسي (آلان تورين) الذي بنى دفاعه عن المفهوم على اساس موقفه الرافض لفكر ما بعد الحداثة والذي اعلن فيه انتهاءها لصالح النسبية مفضلاً لمفهوم (الجماعات المدنية المتنازعة في المجال العام) التي تدير نزاعاتها عبر آلية التفاوض المستمر بدل الحركات الايديولوجية الواسعة^(٤).

اما عالم الاجتماع الامريكي تشارلز تيلي، فقد امد الباحثين بتعريف للحركات الاجتماعية قد يعد الاكثر شيوعا حتى الان، حيث يعرفها على انها سلسلة مستدامة من التفاعلات بين اصحاب السلطة واشخاص ينصبون انفسهم كمتحدثين عن قاعدة شعبية تفتقد الى تمثيل رسمي، وذلك في اطار مطالبة هؤلاء الاشخاص بمطالب واضحة لاجراء تغيير سواء في توزيع أو ممارسة السلطة وتدعيم هذه المطالب بمظاهرات عامة من التأييد^(٥)، هذا التعريف قد يكون من اهم التناولات التي تدعم رؤيتنا لتحليل حركة الامام المهدي (عج) في العراق من ناحية موقعها ضمن الاشكال الاخرى من العمل السياسي من جهة، ومن جهة اخرى مدى النظر لها بوصفها أداة لحل الازمات أو التغيير، وهو ما سنتناوله عبر بعض المداخلات البحثية الاتية.

واذا كانت التعريفات السابقة تشير عادةً الى انها الفعل الجماعي الاحتجاجي المنظم، فأن وجهات النظر الحديثة خصوصا في المراكز البحثية المتخصصة تسعى الى عدم اختزالها في هذا المعنى، حيث نجد ان برنامج "ديناميات التنازع" يدافع عن الحركات الاجتماعية بوصفها شكل خاص من اشكال المشاركة السياسية، او

<http://www.Islamonline.net/Arabic/mafaheem/2004/05.shtml>.

^(٣) نولة درويش، هل نحن ازاء حركة بالفعل ام ازاء منظمات محددة؟، ٤ مارس/ اذار ٢٠٠٤، في موقع على الانترنت:

<http://www.kefaya.org/reports/0403naola.Htm>.

^(٤) ابراهيم البيومي، المصدر السابق.

^(٥) تشارلز تيلي، الحركات الاجتماعية ١٧٦٨-٢٠٠٤، ترجمة وتقديم: ربيع وهبه، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٥، ص ١٥.

كأحداث بارزة للتنازع جنباً الى جنب مع المقرطة والقومية والثورة والتي يمكن من تحليلها استخلاص اليات ومطالب اجتماعية^(٦).

في المقابل من ذلك، هناك وجهة نظر اخرى ترى انه لا ينبغي ان نتعامل مع هذه الحركات كمجموعة متميزة من الظواهر، ولا نسلم بوجود مجالات فرعية ثقافية محددة مكرسة لدراسات شاملة للحركات الاجتماعية، انما ينبغي التسليم بالتطور الذي يعكس نوع التخصيص المتقاطع المتواتر بين عدد من مجالات البحث، من بينها دراسة الاتحادات، والعمل الطوعي [منظمات المجتمع المدني]، والقومية وغيرها. ومع ذلك، هناك مخاطر ايضا مرتبطة بالاستغناء تماما عن مفهوم الحركة الاجتماعية والتركيز في المقابل على عمليات اخرى مثل التجنيد الفردي أو الانتاج الثقافي أو بناء الهوية^(٧)، ومن هذا التحليل يمكن ان نستمد الدعم في اختيارنا للمفهوم معبرا عنه بالحركة المهدوية التي ظهرت في العراق بعد ٢٠٠٣ بوصفها عمليات اجتماعية متميزة وثابتة عن جدارة واستحقاق لها عدد من الاهداف والمطالب السياسية والاجتماعية، وليس كظواهر او احداث بارزة كما اشارت وجهة النظر السابقة.

٢. مفهوم الحركات المهدوية

الحركات المهدوية، هي الحركات الاجتماعية التي تدعي بقضية الامام المهدي المنتظر او الانتساب له بواسطة احد زعمائها او انها تسعى بشكل جماعي لظهوره، وسميت بالمهدوية نسبةً الى الامام المهدي، الامام الثاني عشر لدى المسلمون الشيعة الاثني عشرية^(٨)، وهي في الاصل، عقيدة اسلامية راسخة رغم اختلاف مدارس المسلمين في فهمها والتعامل معها، وفي السياق السابق بينا المقصود بهذه الحركات بوصفها مظهر من مظاهر النضال سواء للتغيير ام للحصول على الحقوق، أما المهدوية، وفي هذا السياق، سنحاول التعرف على مفهوم المهدوية من خلال تفكيكها الى مفهوم (الامام)، ومفهوم (المهدي).

أ. مفهوم الامام أو الامامة

(٦) تشارلز تيلي، المصدر السابق، ص ١٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٨) الشيعة الاثني عشرية أو الإمامية أو الجعفرية هم طائفة دينية إسلامية، ولفظة الشيعة إذا قيلت مطلقة دون تخصيص فإنها تعني الاثني عشرية لكونها الطائفة الأكبر من حيث عدد الأتباع من بين الطوائف الشيعية الأخرى، وأطلقت عليهم هذه التسمية تمييزاً لهم عن الطوائف الأخرى التي تحمل اسم الشيعة كالزيدية والإسماعيلية، ولاعتقادهم بأن النبي محمد قد نصّ على إثني عشر إمام خلفاء من بعده، فكانت عقيدة الإمامة هي الفارق الرئيسي بينها وبين بقية الطوائف الإسلامية. ويطلق عليهم (الإمامية) لإعتقادهم بأن إمامة المسلمين تأتي نصّاً لكل إمام من الإمام المعصوم من أئمة أهل البيت السابق له، فيخالفون بذلك طوائف أخرى الزيدية التي لا تشترط أن يكون الإمام من البيت، ويسمون أيضاً بالجعفرية لاتفاقهم على الأئمة الستة الأوائل ويفترقون من بعد الإمام السادس جعفر الصادق إلى فرق عديدة بسبب اختلافهم على الإمام التالي. للمزيد انظر: عبد الجبار الرفاعي، الإمامة: تعريف بمصادر الإمامة عند الإسلاميين، مجلة تراثنا، السنة الخامسة، العدد ١، ص ١٢٣-١٢٤.

(٩) الحركات السلوكية من ملفات الاوراق السرية، بحث منشور على الرابط: www.m-mahdi.com، تاريخ الاقتباس: ٢٠١٧/٦/٢٨.

إن كلمة الإمام في اللغة تعني المتَّبَع والمقتدى به في الأقوال والأفعال، وهي مصدر الفعل " أمَّ " والإمام هو ما يؤتم به، ومنه قيل للطريق إمام، وللبناء إمام لأنه يؤتم بذلك، أي يهتدي به السالك، وهو اسم يطلقه الشيعة على الحكام الذين يستمدون سلطتهم من مصدر دين^(٩).

ولا يبتعد المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، بإطلاقه الشَّامِل للمقتدى به عموماً في مجال الخير والشر، طوعاً أو كرهاً، ويطلق على الإمام في الصلاة هو الذي تقتدي به جماعة المصلِّين وتتابعه في أفعال الصلاة كالقيام والقعود والركوع والسجود^(١٠).

والامام بهذا المعنى، اسم يطلقه الشيعة على الحكام الذين يستمدون سلطتهم من مصدر ديني، وتختلف الإمامة والخلافة عند الشيعة عنهما عند أهل السنة، فهي عبارة عن مقام إلهي، ينبغي على الحاصل عليه مواصلة وظائف الرسالة ومهامها؛ فالإمام ليس نبياً أو رسولاً مع أن الكثير من وظائف الرسول موكلة إلية، إذ ينبغي عليه توضيح مجملات القرآن، والأحكام التي لم يتسن للرسول الوقت الكافي لإيضاحها، والإجابة عن الأسئلة المستجدة في العقائد والأحكام، فيكون وجوده في المجتمع مثل النبي^(١١).

وبمعنى آخر، الامامة تعني الولاية الكاملة، والامام انسان كامل وهو حجة العصر وامام الزمان، وهو مرتبط بالله ويتم اختياره عن طريق الاختيار والنص، ولا شأن للناس او الامة به، ولا يمكن للإنسان ان ينال هذه المرتبة العالية من خلال انتخاب الامة او اهل الحل والعقد او من خلال الشورى او الديمقراطية، والامام تتناط به عدة ادوار اهمها: الرئاسة العامة، المرجعية الدينية، الولاية الكاملة، ويعتقد الشيعة ان للإمام ثلاث خصال ينبغي توافرها حتى يكون مفترض الطاعة، وهي:

١. ان يكون معيناً من قبل الله ومنصوصاً عليه في كلام النبي او الامام الذي قبله.

٢. ان يكون مؤيداً بالعلم الالهي بحيث لا يحتاج الى علم الناس وهم لا يحتاجون علمه.

٣. ان يكون معصوماً^(١٢)، بمعنى لا يخطأ ولا يعصي^(١٣).

(٩) الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٤.

(١٠) الاصفهاني، المصدر السابق.

(١١) أحمد فؤاد الأهواني، ما يقال عن الإسلام: الخلافة و الإمامة، مجلة الأزهر، السنة التاسعة و الثلاثون، الجزء ٩، ص ٧٨٩.

(١٢) العصمة، ملكة نفسية راسخة بالنفس تعصم الانسان بصورة مطلقة، فلا يرتكب المعاصي مطلقاً ولا يفكر فيها ولا يحوم حولها، أي بمعنى الدرجة القصوى من التقوى.

(١٣) مجتبی السادة، المهدي المنتظر في فكر الشيعة الامامية، دراسة منشورة في مركز الدراسات التخصصية في الامام المهدي على الرابط: www.m-mahdi.com.

تاريخ الاقتباس: ٢٨/٦/٢٠١٧.

وقد اختلفت مذاهب وفرق المسلمين الكبرى حول مفهومي الإمامة والخلافة، فأهل السنة يستعملون لفظ الإمام بما يرادف معنى الخلافة التي تمثلت في التراث السياسي الإسلامي بالتجربة العملية للحكم التي ظهرت فجأة بعد وفاة الرسول واستمرت حتى سقوط الدولة العثمانية، فصار "ال خليفة والخلافة" عنواناً لهذا الخط الذي حكم المسلمين طوال تلك المدة، أما الإمامة عندهم، فهي عبارة عن مقام اجتماعي تؤخذ شرعيته من بيعة الناس، فيجب أن يكون الإمام مثل رئيس الجمهورية، مديراً ومديراً وشجاعاً، ولا ضرورة مطلقاً لكي تتوفر فيه صفات أو كمالات أخرى غير التي ذكرت^(١٣).

فيما ظل مصطلح "الإمامة" عند الشيعة اتباع أهل البيت خصوصاً الاثني عشري، عنواناً لشكل الحكم الذي حدده الرسول بعد وفاته بنصه على الأئمة الاثني عشر من ذريته، وقد تميزوا بها حتى صار اسم "الأمامية" علماً عليهم، حيث يعتقدون انها اصل من اصل الدين، واوصى بها النبي بها للأئمة الاثني عشر اولهم علي بن ابي طالب (ع) واخرهم الامام المهدي المنتظر^(١٤).

وقد بين عالم الاجتماع العربي (عبد الرحمن بن خلدون)، مؤسس (علم العمران البشري) في اشارة الى ما يصطلح عليه اليوم بـ"علم الاجتماع"، بين حقيقة النظريتين الشيعية والسنية في خصوص مفهوم الامامة، فعرفها عند أهل السنة، بالمصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القائم لها بتعيينهم، اما عند الشيعة، فهي ركن الدين وقاعدة الاسلام، ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى الامة، بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصغائر^(١٥).

ومما تقدم يتضح ان الامامة عند الشيعة، منصب الهي للاستمرار في القيام بوظائف الرسالة السماوية، والامام يتولى جميع وظائف الرسول ما عدا الايحاء، اما عند السنة، فهي محصورة في مجال السلطة والسياسة وتفوض للامة.

ب. مفهوم المهدي

المهدي، في المعنى اللغوي العام، اسم مفعول من "هَدَى" والهدى هو الرشاد، والدلالة كما في "الصباح" وفي "لسان العرب"، الهدى ضد الضلال، وهو الرشاد، وفي الحديث: "المهدي، الذي قد هداه الله الى الحق"^(١٦).

^(١٣) محمد رضائي محمد، هفوات الناقدین: قراءة نقدية لأراء كديور حول الإمامة و التاريخ، مترجم: منال باقر، مجلة نصوص معاصرة ، العدد ١٠، ص٢٢٤.

^(١٤) عبد الجبار الرفاعي، الإمامة: تعريف بمصادر الإمامة عند الإسلاميين، مجلة تراثنا، السنة الخامسة، العدد ١، ص١٢٣-١٢٤.

^(١٥) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ١، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بلا سنة نشر، ص٣٧٣.

^(١٦) المهدي، بحث منشور على موقع ويكيبيديا على الرابط: ar.m.wikipedia.org ، تاريخ الاقتباس: ٢٠١٧/٦/٢٨.

اما اصطلاحاً، فهو شخص يؤمن المسلمون بظهوره في الفترة الاخيرة من حياة البشر على الارض أو ما يعرف لدى الشيعة بـ"آخر الزمان"، ليكون حاكماً عادلاً وعظيماً لدرجة انه سينهي الظلم والفساد على وجه الارض وينشر العدل والاسلام الصحيح، ويحارب وينتصر على اعداء الاسلام، وعلى الرغم من أن المصادر الاسلامية تكاد تجمع على ظهوره الا انها تختلف على شخصيته، وابرز هذه الاختلافات هو بين اكبر جماعتين في الاسلام وهما: اهل السنة والشيعة الاثنا عشرية، فيقول السنة بأن المهدي هو شخص اسمه محمد وهو سلسل "اهل البيت"، من ولد "فاطمة الزهراء" بنت رسول الله سيولد كأبي انسان عادي ليكون هو المهدي^(١٧).

بينما يقول الشيعة بأن المهدي هو الامام (محمد بن الحسن العسكري) المولود ٢٥٥هـ، اي ٨٧٤ ميلادي في مدينة سامراء شمال العراق، وامه "ترجس" زوجة الامام الحسن العسكري، وهو خاتم الائمة الاثني عشر الذي تولى الامامة بعد ابيه، لكنه مختفٍ عن الانظار ولن يظهر الا في اخر الزمان ليعلن دولته، انيطت به الامامة وهو بعمر (٥) سنوات، وله غيبتان، الاولى هي الغيبة الصغرى وكانت مدتها ٦٩ سنة، وبدأت عام ٢٦٠هـ امتدت حتى عام ٣٢٩هـ ، وكان اتصال الشيعة به عن طريق سفرائه أو نوابه* الاربعة وهم (عثمان بن سعيد، محمد بن عثمان، الحسين بن روح، وعلي بن محمد السمرى)^(١٨)، اما الغيبة الثانية، او ما تسمى بالغيبة الكبرى بدأت عام ٣٢٩هـ، بعد وفاة اخر السفراء، وغيبته واحتجابه لأمر ارادة الله، ويعتقد الشيعة ان الله اعطاه طول العمر فهو حي من ذاك الحين، وان عمره وحياته مثل حياة وعمر عيسى والخضر (ع) بأعجاز الهي ومن علامات ظهوره، خروج الدجال، والسفياي، وانتشار الظلم والجور في الامة، واقبال الرايات السود من خراسان، ويعتقدون بخروجه بين الركن والمقام في مكة، ثم يبايعه الناس^(١٩).

وبناء على ما تقدم، فأن ما نقصد به بالحركات المهديوية في هذه الدراسة، الجماعة التي تدعي زعامتها او مؤسسها انه الامام المهدي، او احد سفرائه، او القرابة منه، أو يمثله، وعمل على تحشيد مجموعة من الافراد للعمل تحت هذا المسمى بقصد العمل السياسي والاجتماعي والديني، وبشكل اعم كل الحركات والفرق التي تدعي تمثيلها للمهدي، او انها مقدمة أو تمهد لظهوره.

(١٧) سنن ابي داود، كتاب المهدي، ص١٠٩، منشور على الرابط: www.hadith.al-islam.com، تاريخ الاقتباس: ٢٠١٧/٦/٣٠.
(١٨) سفير الامام او نائب الامام، هي درجة يحصل عليها من يصل الى ملكة الفقاها، وهذه ملكة يحصل الانسان بعد دراسات مطولة ومعقدة في الفقه والاصول واللغة والمنطق والتفسير وغيرها من العلوم، قد تستغرق ٤٠ عاما من الدراسة والمثابرة، فاذا حصل على هذه الملكة وباقي الصفات المذكورة، اصبح مؤهلاً لان يتصدى لبيان شرائع الدين، ويمكن ان يتصدى ليكون نائباً عاماً عن الامام المهدي، انظر: صدى المهدي، (دورية)، العدد ٧٩، اذار ٢٠١٧.
(١٩) كاظم القزويني، الامام المهدي من المهد حتى الظهور، بلا عنوان، بلا سنة، ص٦٦٧. وكذلك الطوسي، الغيبة، ج١، ص٢٣٠.
المصدر نفسه

المبحث الثاني

الاطار النظري للدراسة

يتضمن هذا المبحث محورين اساسيين، المحور الاول: يتضمن عدد من الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع الدراسة، والمحور الثاني يتضمن النظريات المفسرة للظاهرة المدروسة، وهما على النحو الاتي:

اولاً: الدراسات السابقة

إن التعرف على الجذور التاريخية لموضوع اي ظاهرة مدروسة في ميدان البحث الاجتماعي، والوقوف على التغير والاستقرار فيها، وكيف تطورت؟ وما النتائج التي توصل اليها الباحثون حولها في مجتمعات مختلفة اخرى؟ تعد من الاهداف الاساسية لمراجعة الدراسات السابقة.

زيادة على ان استعراض الدراسات السابقة قد يكون من اجل الاطلاع على الأطر النظرية، والاجراءات والاختبارات المنهجية التي جرى استعمالها، للاستفادة منها في تحقيق فهم عميق للمشكلة المعنية بالدراسة، مع امكانية تفسير ما تصل اليه من نتائج.

وعلى هذا الاساس، سنقوم بعرض بعض الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع بحثنا، حيث تم الاخذ بنظر الاعتبار الدراسات التي استعملت مناهج مشابهة، أو قريبة من منهج البحث الحالي، وذلك للحصول على فرصة كافية للمقارنة، مع مراعاة الاختلاف في العنوان، والفرضيات، ومعالجة الموضوعات الفرعية، وهي على النحو الاتي:

اولاً: دراسة (عماد جميل خليف) الموسومة بـ"العولمة والعالمية المهدوية"^(٥)

وهي من الدراسات المقارنة التي تحاول عقد مقارنة بين ظاهرة العولمة بوصفها نظام عالمي وقضية الامام المهدي وصيرورتها مستقبلاً، وتوخي الباحث في دراسته تحقيق عدة اهداف اهمها:

(٥) عماد جميل خليف، العولمة والعالمية المهدوية، منتديات صرخة الامام الحسين، بحث منشور على الرابط: <http://www.m-mahdi.com>

١. تبيان حقيقة الأطروحة المهدوية ونتائجها المستقبلية بوصفه منقذا لجميع الشعوب المحرومة، ويمثل الحل الإلهي لمشكلة الحكم الجائر والتسلط المزمنة في تاريخ البشرية، إذ ان كل ما جرى ويجري من ظلامات مرده الى جور الحكام وفسادهم.

٢. ان أطروحة الامام المهدي المنتظر تدعو الى نشر العدل والمساواة وتحقيق الامن والسعادة لجميع الشعوب

حاول الباحث باستخدام المنهج التاريخي والوصفي تحقيق هذه الاهداف من خلال الاعتماد على المصادر التاريخية والقرآن الكريم في اثباتها، وخرج الباحث بعدة نتائج ادرج بعضها ضمن مظاهر الدولة العالمية المهدوية نوجز اهمها:

أ. انتصار الحق والتقوى والعدل والحرية على الظلم والدجل والاستكبار والاستعباد.

ب. عمران الأرض بحيث لا تبقى بقعة غير عامرة.

ت. بلوغ البشرية حد النضج والتكامل يلتزم فيه الانسان طريق العقل والعقيدة.

ث. قيام حكومة عالمية موحدة.

ج. بسط الامن وانتهاء الحروب والنزاعات.

ثانياً: دراسة (جريدة غانم) الموسومة بـ " النظرية المهدوية وصناعة التاريخ"^(٥).

انطلق الباحث في دراسته لهذه الجدلية من تساولين رئيسيين هما: هل باستطاعة التجربة المهدوية ان تزعزع هذا التمرکز التاريخي للنظريات الاخرى؟ وهل بإمكانها إعادة صناعة التاريخ؟ وكان يبتغي في دراسته تحقيق عدة اهداف منها: تحديد معايير ومنطلقات التجربة المهدوية، وتبيان المستوى المعرفي لقراءة التجربة المهدوية، والتعرف على الاستراتيجية المعرفية لانتاج مجتمع المعرفة، ومن خلال الاجابة على هذه الاسئلة باستخدام المنهج التاريخي والوصفي، توصل الباحث الى مجموعة من النتائج التي تؤكد اهمية الأطروحة المهدوية في صناعة التاريخ من خلال العوامل الاتية:

١. النظرية المهدوية نظرية جديدة تمتاز بالشمولية والموضوعية، تهدم كل البنايات السابقة، التي بنتها النماذج الغربية.

(٥) جريدة غانم: النظرية المهدوية وصناعة التاريخ، بحث منشور على الرابط: [A-s of Al-Mahdi 2009 of Specialist studies center]

٢. الانتقال من المرحلة المتلقية الى المرحلة الاجتهادية الإبداعية لخلطة المفاهيم والمصطلحات والنماذج، لتعريف ما هو كامن، سواء من جانب المغالطات او من جانب الابهام والتضليل.
٣. تغيير النماذج الإدراكية: بأعمال العقل، الذي يهدف الى الابداع، والخروج بحق الاختلاف بمنظار التعدد، لا التفرد، وضرورة الانفتاح على الانساق المعرفية الأخرى، اعلامياً وسياسياً واقتصادياً محلياً واقليمياً.

• مناقشة الدراسات السابقة

نحاول في هذا الجزء من البحث مناقشة الدراسات السابقة وفقاً لل فقرات التي توزعت بموجبها، وذلك لإلقاء نظرة على أوجه التشابه والاختلاف مع الدراسة الحالية، وتقديم صورة أدق للأهداف التي تحاول الدراسة الوصول اليها، سواء من خلال تفسير الاهداف التي توصلت اليها هذه الدراسات، أم المناهج التي أتبعناها، أم النتائج التي توصلت لها.

ففي سياق الدراسة الاولى، كانت تدور حول عالمية الاطروحة المهدوية وهو هدف ينتشبه الى حد ما مع اول اهداف بحثنا في محاولته لتوصيف عقيدة الامام المهدي، فضلاً عن كونها تتطابق مع البحث في مسألة استخدام المناهج، الا انها تختلف مع اهداف اخرى في البحث الحالي مثل اختلافها في مسألة الحركات المهدوية والبحث عن اصولها وابعادها السياسية.

اما في ما يتعلق في الدراسة الثانية، فهي تشابه البحث الحالي في المنهج والموضوع، بوصفها تناولت سبل العقيدة المهدوية لإعادة انتاج التاريخ، لكنها تختلف مع البحث الحالي في قضايا اخرى عديدة منها، البحث عن الحركات المهدوية المدعية، فضلاً عن استقصائها في الواقع العراقي، اذ انها تناولت الموضوع في اطارها العالمي.

ثانياً: النظريات المفسرة للظاهرة

في هذا المحور نستعرض باختصار لاهم النظريات التي حاولت تفسير تكوين الحركات الاجتماعية ومكوناتها وما يرتبط بها من دوافع واهداف، ومن ثم نحاول ان نخرج الى وجهات النظر الخاصة بالحركات المهدوية واهم ملامحها وتحولاتها الفكرية والعقائدية، وعلى النحو الاتي:

١. نظرية السلوك الجماعي:

برزت هذه النظرية في أربعينيات القرن الماضي، وهي تربط مفهوم الحركات الاجتماعية ببعض الأنشطة الجماعية التي يقوم بها الافراد، مثل الاحتجاج، والمظاهرات، والسلوك الجمعي، أو ردود الافعال التي قد تكون غير منطقية احيانا، لمواجهة ظروف غير طبيعية من الاربك والتعثر في عمل المؤسسات الاجتماعية الاساسية، ويرى اصحاب هذه النظرية، ان الحركات بهذا المعنى قد تصبح خطيرة، وهي عادةً انعكاس للمجتمعات المنهارة المتفككة، حيث لا تحتاج المجتمعات الصحية الى حركات اجتماعية، بل تتضمن اشكال من المشاركة السياسية والاجتماعية^(٢٠).

٢. نظرية الحركة الاجتماعية الجديدة:

تطورت هذه النظرية خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي وذلك لتبرير عمل بعض الحركات الجديدة، وتفسر هذه النظرية الحركات الاجتماعية بوصفها انعكاس للتناقضات الكامنة في المجتمع نتيجة للبيروقراطية المفرطة، وكحل لها، كما يرى اصحابها ان الاختلاف بين الحركات القديمة والجديدة ناجما عن بروز تناقضات اجتماعية جديدة يجسدها التناقض بين الفرد والدولة، وهو ما يجعل هذه المقاربة تنتقل من المصالح التطبيقية الى المصالح الانسانية الكونية، وهي تفسر، كيف تهتم الحركات الجديدة اكثر بتطوير الهوية الجماعية بدل اهتمامها بالايديولوجيات الجديدة، كما تميل الى الانبثاق من صفوف الطبقة المتوسطة بدلا من الطبقة العاملة^(٢١).

٣. نظرية الفعل - الهوية:

ترى هذه النظرية ان الحركات الاجتماعية تحول دون الركود الاجتماعي، وهي تقوم ضد المؤسسات القائمة والمعايير المعرفية المرتبطة بها، اي انها تقوم ضد المجموعات المهيمنة على عمليات اعادة الانتاج الاجتماعي والاقتصادي، ويرى اصحاب هذه النظرية والمروجين لها ان هناك احلالا تدريجيا يتم فيه استبدال الشكل القديم للرأسمالية الصناعية بمجتمع مرحلة ما بعد التصنيع القائم على البرمجة الذي يتميز بأنماط مختلفة من العلاقات والصراعات الطبقيّة، ففي المجتمع "المبرمج" يشكل التكنوقراط الطبقة المهيمنة، في حين ينتهي دور الطبقة

^(٢٠) نولة درويش، هل نحن ازاء حركة بالفعل ام ازاء منظمات محددة؟، ٤ مارس/ اذار ٢٠٠٤، على الرابط:

<http://www.kefaya.org/reports/0403naola.Htm>.

^(٢١) المصدر نفسه.

العاملة بوصفها مناضل اساسي ضد الاوضاع القائمة، وبالتالي يرون ان الصراع الطبقي اساسا ذو طبيعة اجتماعية ثقافية، وليس ذو طبيعة اجتماعية - اقتصادية^(٢٢).

٤. نظرية الامام المهدي المنتظر

ان الحديث عن عقيدة الامام المهدي المنتظر بوصفها اطارا نظريا للحركات الاجتماعية التي تدعي الامام المهدي نفسه، تتطلب استرجاع الوعي وتفكيكه وتأويله بخصوص فكرة المنقذ أو المخلص بوصفها مضمون اساسي لهذه العقيدة، فالفكرة ورغم تعدد الطروحات في اسباب نشوء الحركات الاجتماعية التي تنادي بها، ظلت هي العامل الاراس الذي يدفع اعداد كبيرة من المسلمين الشيعة الذين يعتقدون بقضيتها الى الانخراط في هذه الحركات نظراً لجاذبية فكرة الامام المهدي في مسألة ملأه الارض قسطا وعدلا بعد ان ملأت ظلما وجورا.

واذا كانت فكرة الامام المهدي المنتظر هي العامل الاساسي في نشوء الحركات المهدوية، فان ذلك لا ينفي وجود عوامل اساسية اخرى ساهمت في بروز هذه الحركات وتناميها، بيد ان القمع والظلم الاجتماعي والسياسي الذي يتسبب عادةً في غياب الفاعلية الثقافية والرجوع الى هيمنة الطقوسي - الشعبي، زيادة على الفقر والهشاشة الاقتصادية التي تخلق هامشا اجتماعيا يتمركز عادةً في المدن والاحياء الفقيرة، تعد عوامل حاسمة في انخراط الشباب المسلم في الحركات الاجتماعية التي اتخذت من المهدي وقضيته عنوانا لها تحت مسمى الحركات المهدوية في محاولة منها لوضع حد للظلم والقمع الاجتماعي والفقر، أو للتمهيد لعملية ظهور المهدي المنتظر، وذلك انطلاقا من ايمانها بدور الامام الغائب في الانقاذ و/أو الخلاص^(٢٣)، حيث تؤكد اغلب مصادر الشيعة الاثني عشرية أن عملية ظهور الامام المهدي التي تحقق التغيير والاصلاح والقضاء على الظلم لم تتم ما لم تتوفر شروط معينة، وهي التي ذكرها السيد محمد صادق الصدر في موسوعة الامام المهدي تحت عنوان شرائط الظهور، وهي باختصار تتمثل في اربع نقاط:

١. وجود الاطروحة او الايديولوجية الكاملة لعملية التغيير.
٢. وجود القائد المحنك الذي يقود عملية التغيير الشامل.
٣. وجود العدد الكافي من الانصار والمؤازرين للقائد العظيم.
٤. وجود قاعدة شعبية مؤيدة وكذلك استعداد عالمي للتغيير^(٢٤).

(٢٢) تشارلز تيلي، المصدر السابق، ص ١٨.

(٢٣) مجتبي السادة، الامام المهدي والادعاءات الكاذبة في العصر الحديث، المصدر السابق.

(٢٤) السيد محمد صادق الصدر، موسوعة الامام المهدي، ج ٢، ص ٤٥٨.

وعلى هذا الاساس، يسعى اتباع الجماعات التي تدعي المهدوية الى توافر هذه الشروط في حركاتها والترويج لها وذلك من اجل ترسيخ القناعات وانتشارها بوصفها الممثل الحقيقي لقضية الامام المهدي من جهة، ومن ثم لتحشيد اكبر عدد من المريدين من جهة اخرى، وذلك عبر ارتكازها على فكرة عقائدية غير قابلة للنقاش لدى معظم المسلمين الشيعة، هدفها الاساس الانقاذ والخلص من الظلم والجور السائدين في المجتمعات الانسانية كافة.

ومن جانب اخر، يبدو العامل الاجتماعي ذو اثر فعال في قضية الادعاء بالحركات المهدوية، حيث ان الشعور بالنقص الاجتماعي او المادي يدفع كثير من الافراد لسد هذا النقص الذي يشعرون بهمن خلال المكانة الاجتماعية التي يحصلوا عليها بادعاءاتهم هذه.

زيادة على ذلك، ان فكرة الامام المهدي المنتظر أو المنقذ تناولتها كل الشرائع السماوية والمذاهب الوضعية وهي محط انظار كل الثقافات، فعلى الرغم من اصلها ونشوؤها مرتبطا بعقائد المسلمين الشيعة الاثني عشرية، الا ان جاذبية الفكرة واهميتها دفعت الافراد ومن مختلف الثقافات الى الادعاء بها او تبني فكرتها في الانقاذ والخلص، وباتت تشكل القاسم المشترك لكل الثقافات والأمم، وقد اكدت البحوث المتعلقة بدراسة الأديان والعقائد وتاريخها، انه لا تكاد امة من الأمم أو ثقافة من الثقافات تخلو من هذه الفكرة، وهي ضاربة في عمق التاريخ البشري منذ نشوء الخليقة، فكل امة تنتظر الشخص والقائد الذي يخلصها من الشرور والظلم ويحقق لها الحياة الحرة الكريمة، حيث يسود العدل والأمان والاطمئنان، الامر الذي رافقه وبشكل موازي ظهور حركات اجتماعية في مختلف الديانات والثقافات تدعي العقيدة المهدوية، وتحاول ان تتبنى قضية الامام المهدي الحقيقية، وفي السياق الاتي من الدراسة نحاول نظرية الامام المهدي في الأديان وثقافات الأمم، والحركات التي نجمت عنها، وعلى النحو الاتي:

١. فكرة المهدي في الديانة المندائية

الديانة المندائية "الصابئة"، اقدم الديانات (نشأت في منتصف الالف الثالثة ق.م) تؤمن بمهدي منتظر هو السيد سيتيل (الاله سيت) وهو شيت ابن ادم (ع)، وغالباً ما يرد اسمه بصفته العينية (عاذيمون) التي تعني ابن الاله،

ومن هنا فعقيدة المهدي المخلص هي عقيدة لازمت التدين العراقي منذ سبعة الاف عام على الأقل... وهي احدى المسلمات الرئيسية التي يمثل نقضها نقض الايمان ذاته لكل الديانات السماوية تقريباً^(٢٥).

٢. فكرة المهدي في الديانة الايزيدية

الايزيديين، ثاني اقدم الديانات لازالوا يؤمنون بهذا المخلص وينتظروه ولكن باسم اخر "خضر الياس" حيث اكدت الشواهد التاريخية، ان فكرة المخلص المنتظر لم تكن مبنية على عقيدة ولا ادلة علمية، وأول من نادى بها وثبتها هم الديانات القديمة، وظهر بأسماء وعناوين مختلفة^(٢٦).

٣. فكرة المهدي في الديانة اليهودية.

ان الايمان بفكرة ظهور المصلح ثابت عند اليهود مدون في التوراة والمصادر الدينية المعتبرة عندهم، وقد فصل الحديث عن هذه العقيدة عند اليهود الكثير من الباحثين المعاصرين خاصة في الغرب مثل جورج رذ فورد في كتابه " ملايين من الذين هم احياء اليوم لن يموتوا ابداً" والسناتور الأميركي بول منزلي في كتابه "من يجرؤ على الكلام" والباحثة غريس هالسل في كتابها "النبوءة والسياسة" وغيرهم.

وقد جاء في سفر "اشعيا" ما ترجمته "ستخرج من القدس بقية من جيل صهيون غيرة رب الجنود ستصنع هذا"، وهذا الامر واضح لا سيما لمن درس الديانة اليهودية، فإنه يلمس مدى رسوخ هذه العقيدة فيها.

إن اعتقاد أهل الكتاب بظهور المنقذ في آخر الزمان هو من تبشير أديانهم بمهدي أهل البيت عليهم السلام كتبشيرهم بالنبي صلى الله عليه وآله، ويدل على ذلك وجود ما يشير في أسفار التوراة إلى ظهور المهدي عليه السلام في آخر الزمان، كما في بشارات العهد القديم: (ابتهجي كثيراً يا بنت صهيون هو ذا ملكها سيأتي إليك عادلاً ومنصوراً)^(٢٧).

كذلك جاء النص التالي في أسفار التوراة في إشارة إلى ظهور المهدي في آخر الزمان: (اصعدي أيتها الخيل وهيجي المركبات، ولتخرج الأبطال: كوش وقوط القابضان المجنّ، واللوديّون القابضون القوس، فهذا اليوم للسيد ربّ الجنود، يوم نقمة للانتقام من مبغضيه، فيأكل السيف ويشبع.. لأنّ للسيد ربّ الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات)^(٢٨).

^(٢٥) المخلص في تاريخ العراق القديم، مقال منشور في مركز دراسات التخصصية في الامام المهدي عليه السلام: <http://www.m-mahdi.com>

^(٢٦) المصدر نفسه.

^(٢٧) سفر زكريا، الأصل العبري العهد القديم ص ١٣٤، نقلا عن كتاب: كمال السيد، الإمام المهدي نظرة في التاريخ ورؤية للمستقبل، بيروت ٢٠٠٢، ص ١١.

^(٢٨) سفر أرميا، نقلا عن كتاب أبو محمد الأردني: الكتاب المقدس تحت المجهر، بلا عنوان وسنة نشر، ص ١٥٥.

وقد افرزت هذه العقيدة عند اليهود حركات سياسية واسعة بهدف الاستعداد لظهور المنقذ العالمي الذي يؤمنون به، وسبب هذا التحرك عند اليهود في هذا المجال يشتمل على تحديد زمني لبدء مقدمات المنقذ العالمي الذي يبدأ من عام (١٩١٤م). الذي هو عام تفجير الحرب العالمية الأولى، ثم عودة الشتات اليهودي الى فلسطين وإقامة دولتهم التي يعتبرها اليهود من المراحل التمهيدية المهمة لظهور المنقذ الموعد ويعتقدون بأن العودة الى فلسطين هي بداية المعركة الفاصلة التي تنهي وجود الشر في العالم وبيدأ حينئذٍ حكم الملكوت في الأرض لتصبح الأرض فردوساً^(٢٩).

٤. المهدي أو المصلح في الديانة النصرانية

امن النصارى بأصل هذه الفكرة استناداً الى مجموعة من الآيات والبشارات الموجودة في الانجيل، وقد صرح علماء الانجيل بالإيمان والاعتقاد بحتمية عودة عيسى المسيح في اخر الزمان ليقود البشرية في ثورة عالمية كبرى يعم بعدها الامن والسلام كل الأرض، منها (بشارة يوحنا وصيحة السماء بخروج المهدي)، حيث وردت عدة عبارات في الانجيل المسيحي، منها ما ورد في سفر يوحنا إشارة الى النداء السماوي بخروج المهدي ما ترجمته "ثم رأيت ملاكاً طائراً في وسط السماء معه إشارة ابدية ليبشر الساكنين على الأرض، وكل امة وقبيلة ولسان وشعب، منادياً بصوت عظيم: خافوا الله واعطوه مجد لأنه قد جاءت ساعة حكمه، (واسجدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه) فأن في هذا النص إشارة الى صيحة الحق كما في قوله تعالى: (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج)^(٣٠).

كذلك بعض المسيحيين الجدد يتنبؤون بعودة السيد المسيح عليه السلام، ويفسرونها من وجهة نظرهم.. وفي هذا الصدد يقول الرئيس الأمريكي (رونالد ريغان): (إن جميع التنبؤات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجدون قد مرّت)، وعندما كان ريغان مرشحاً للرئاسة عام ١٩٨٠م، كان يواصل الحديث عن هرمجدون، ومن أقواله: إن نهاية العالم قد تكون في متناول أيدينا.. وإن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيشهد هرمجدون).. كذلك فإن قادة اليمين المسيحي الجديد، (يعتقدون أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحرب النووية العالمية أو الكوارث الطبيعية والانهايار الاقتصادي والفوضى الاجتماعية)^(٣١).

٥. فكرة المهدي في الاسلام

^(٢٩) عماد جميل خليف، المصدر السابق.

^(٣٠) المصدر نفسه.

^(٣١) مجتبي السادة، الامام المهدي والادعاءات الكاذبة في العصر الحديث، المصدر السابق.

أكد الدين الإسلامي الفكرة باتفاق جميع المذاهب، وحددت اسمه وصفته ونسبه، وغطى نظرية ظهور المهدي تغطيه كاملة، وحددت علامات ظهوره تحديداً دقيقاً، حيث نجد أن عقيدة المهدي واضحة لدى المسلمين أكثر من غيرهم، ومصدر هذه العقيدة النبي محمد(ص)، الذي بشر وحدّ أصحابه بظهور المهدي ، فكان في كل نادٍ ومحفل ومنتدى ومجمع يبشر أصحابه، بتطهير الأرض من الظلم والفساد، وينشر العدل والقسط في آخر الزمان، وكان المسلمون ينتظرون ظهور رجل يقيم العدل ويمحق الظلم ويصلح شأن العالم، ولهذا لم يكونوا يتساءلون عن أصل الموضوع، بقدر ما كانت معظم استفساراتهم تدور حول مسائل فرعية، عن أصله ونسبه، عن اسمه وكنيته، عن صفاته وخصاله، عن سبب غيبته، عن علامات ظهوره.. إلى غير ذلك من الاستفسارات^(٣٢).

إن الإسلام بركنيه القرآن الكريم والسنة الشريفة هما المصدر والمنبع لدى المسلمين للاعتقاد والإيمان بالمهدي المنتظر وعلى ذلك أجمع المسلمون.. وقد احتل هذا الاعتقاد مكانه بارزة في الإسلام، وعلى كل الأصعدة انطلاقاً من قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)(سورة التوبة: ٣٣) وقوله صلى الله عليه وآله، في حديث صحيح عند المسلمين كافة: عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله (لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً)^(٣٣).

وهكذا نستنتج أن فكرة المنقذ المنتظر هي فكرة واقعية، وقبل ذلك فهي حاجة بشرية، بل هي ضرورة إلهية لإقامة الحجة على البشر: بإمكانية إقامة دولة العدل والتوحيد، ولقد تبين لنا أن المنقذ المخلص للبشرية والذي نتحدث عنه الأديان، هو المهدي المنتظر الذي يتخذ تسميات رمزية أو حقيقية في الآثار السماوية، وكل حسب اللغة التي يتحدث بها.

٦. فكرة المهدي في الثقافات القديمة

أما على مستوى العالم القديم، فقد وردت فكرة المنقذ في الثقافات والأمم كافة، ويبدو أن العراقيين القدماء أول من أوجد فكرة المخلص المنتظر، حيث ظلوا ينتظرون مطلع كل ربيع عودة الإله "تموز" من عالم الموت، ليخصب عشتار ويجلب لهم الربيع ومن هنا نشأت فكرة المخلص عند السومريين وتطورت من جيل إلى جيل، السومريين

^(٣٢)المصدر نفسه.

^(٣٣)سنن أبي داود، المصدر السابق.

ومهديهم المخلص هو إيليا ثم بعده حفيده الاله دو مو سين "تموز" وهو ايضاً مخلص العراقيين (الاشوريين والبابليين والاكديين) سوى انه يظهر مرة باسم ايل وأخرى باسم "بعل"^(٣٤).

وفي الثقافات الاخرى فقد امن الزرادشتيون بعودة بهرام شاه، وامن الهنود بعودة فيشنو، وينتظر البوذيون ظهور بوذا*، كمل ينتظر الاسبان ملكهم روزريق، والمغول قائدهم جنكيز خان، وقد وجد هذا المعتقد عند القدامى المصريين، كما وجد في القديم من كتب الصينيين، وينتظر المجوس اشيدريابي أحد اعقاب زرادشت، وان مسيحي الاحباش ينتظرون عودة تيودور كمهدي في اخر الزمان

ويعتقد البوذيون في (بوذا) حتى انهم يسمونه (المسيح) المولود الوحيد ومخلص العالم، ويقولون "انه اله كامل تجسد بالناسوت، وانه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر" اهل البيت في الكتاب المقدس^(٣٥).

حملت معظم الثقافات في عقائدها الفكرة او الاطروحة المهدوية، ولم يقتصر الامر على الشعوب المتدنية او التي نشأت الفكرة لديها عن طريق الاعتقاد الديني، بل ان الكثير من الملحنين والمنكرين للوجود الإلهي، امنوا بهذه الفكرة وكذلك الفلاسفة والكتاب والعلماء وخاصة من اهل الغرب، فقد "صرح عباقره الغرب وفلاسفته بان العالم في انتظار المصلح العظيم الذي سيأخذ بزمام الأمور ويوحد الجميع تحت راية واحدة وشعار واحد، الفيلسوف الإنكليزي الشهير برتراند راسل قال "ان العالم في انتظار مصلح يوحد العالم تحت علم واحد وشعار واحد"، العلامة اينشتاين صاحب النظرية النسبية، قال "ان اليوم الذي يسود العالم كله الصلح والصفاء ويكون الناس متحابين متآخين ليس ببعيد"، وكذلك "الفيلسوف الإنكليزي برنارد شو، بشر بمجيء المصلح في كتابه الانسان والسوبرمان"، وايضاً مينا جرجس قال " ان العلامات التي ذكرها الرب في الانجيل تبدو واضحة بأكثر جلاء هذه الأيام وأصبحنا نعيشها كلها.... كما انه لا توجد علامة من تلك العلامات التي ذكرها الرب في الانجيل الا ونراها واضحة هذه الأيام، الامر الذي يدعونا ان نكون في حالة استعداد قصوى لاستقبال الرب الاتي على سحب السماء"^(٣٦).

إذاً، فأصل الفكرة ثابت عند جميع شعوب العالم ولا وجود للشك فيه وان كان هناك اختلاف في شيء ما، فمرده الى الاختلاف في ثقافة الشعوب نفسها، اذ ان كل شعب يدعي ان المنقذ سوف يكون منه، او كل شعب يرى ان قائده هو الذي سيخلصه في نهاية المطاف من الظلم وبغض النظر ايضاً عن كون هذا الشعب موحداً ام لا، اذاً

^(٣٤) المخلص في تاريخ العراق القديم، المصدر السابق.

^(٣٥) المصدر نفسه.

^(٣٦) عماد جميل خليف، العولمة والعالمية المهدوية، المصدر السابق.

فأصل الفكرة مشتركة بين جميع الأديان والشعوب، ولكن الاختلاف يقع في نفس مصداق المصطلح، وهو الامر الذي ادى بالتالي الى ظهور الحركات المهدوية في مختلف الثقافات، حيث ظهرت في كل زمان حركات وجماعات مختلفة تدعي العقيدة او الاطروحة المهدوية.

المبحث الثالث

ادعاء المهدوية

الادعاء بشكل عام مسألة قديمة، فمنذ ان وطأت قدما الانسانية هذه الارض، نشأ الادعاء (دعوة حق، وادعاء باطل)، واستمرت الحال من ادعاء الالهية والربوبية والخالقية الى ادعاء اللاشيئية والعبثية ومحض الصدفة الى ادعاء النبوة والرسالة والخاتمية، وعلى هذا الشكل تأرجح الادعاء بين مراتب كثيرة، فمن يقرأ صفحات المدعين يجد ان منهم من ادعى الربوبية وانه رب واله، ولم يقدم دليلا وسار في هذا الطريق الى النهاية، وخر ادعى انه رب وخالق ورزاق وحصد من البشر اتباعا ناهزوا الملايين، وذهب اخرين في الادعاء بالنبوة والامامة، وهناك من ادعى انه اماما ثالث عشر، او سفير ادعى السفارة بغير نص، وغير ذلك من الدعاوى التي يعيش اصحابها بيننا، واذا توغلنا في اعماق قضية الادعاء اكثر يندر ان نجد دينا سماويا أم وضعيا او فئة أو طائفة أو مذهباً او عقيدة أو فكريا ليس فيه ادعاء، وان ما يثير الاستغراب في القضية هو تحشيد الآلاف من البشر بل الملايين احيانا، ليشكلوا حركات تمتلك قوة مادية ومعنوية بيد هؤلاء الادعاء، وامام هذا التشعب والتنوع الكبير في قضية الادعاء.

سنحاول في هذا السياق مناقشة ادعاء الامام المهدي في محورين: المحور الاول يتضمن مناقشة الادعاء في المذاهب الاسلامية والمجتمعات والثقافات العربية الاسلامية منذ غيبة الامام المهدي (الصغرى) والى اليوم، وفي المحور الثاني، سنناقش الظاهرة لدى الشيعة الامامية، مع التركيز على حالة العراق، حيث ظهرت في العراق خلال السنوات الأخيرة، دعوات كثيرة عن الإمام المهدي المنتظر، افرزت حركات وجماعات كبيرة، تركت اثر كبير على المجتمع العراقي، وشغلت أوساطه السياسية الدينية والعقائدية والفكرية والثقافية.

اولاً: ادعاء المهدوية في المذاهب الاسلامية

ظهرت في الآونة الأخيرة أكثر من دعوى في المهدوية انطلقت من بعض الدول الإسلامية على اختلاف مذاهبها وفرقها الإسلامية... عبارة عن أفراد يدعون الصلة بالإمام المهدي المنتظر، أو الادعاء بأنهم الإمام المهدي بعينه، شكلوا حركات وجماعات اجتماعية تنادي بأفكارهم وسلوكياتهم، نحاول في هذا السياق تعقب اصول بعض هذه الادعاءات والتحويلات التي طرأت بشكل مقتضب، وهي على النحو الآتي:

١. الجماعة المهدوية في المغرب

ادعى رجل مغربي يدعى (بو مدين خوار) انه المهدي المنتظر، وسمى اتباعه بـ(الجماعة المهدوية)، يتبنى معتقدات شاذة وغريبة، منها: انه زعيم مقدس ولا يجوز المساس به، وجوب الطاعة له، تغيير اسماء اتباعه، ضرورة تخلص اتباعه من ممتلكاتهم وتسليمها للجماعة، لا يحق للاتباع معاشره زوجته الا بعد اذن من الزعيم. واخيرا تم اللقاء القبض عليه من قبل السلطات المغربية بتاريخ ٢٠١٢، واحيل الى القضاء وتبين انه مدعوم من الخارج^(٣٧).

٢. مدعو المهدوية في مصر

مدعو المهدوية في مصر كثيرين، منهم ابن مريم المهدي ظهر عام ٢٠١٢، والمهدي عبد التواب، ظهر عام ٢٠١٠، ومدعي قانا واسمه الحاج خلف الله عبد الله وادعى المهدوية عام ٢٠١٢ في قانا، ومهدي بور سعيد ظهر عام ٢٠١٣، وادعى انه من شجرة عائلة بني هاشم من آل البيت، وهناك مهدي ميدان التحرير، ومصري اخر يدعي انه الاعور الدجال، وهناك رجل اخر اسمه الحسين بن موسى اللحيدي ادعى المهدوية عام ٢٠٠٧، وكان له حركة واتباع كثر بايعوه هم وزوجاتهم، له القدرة على التلاعب بالألفاظ وتأويل الآيات، قال انه جد المهدي ثم تطورت اطروحته شيئا فشيئا حيث ادعى بعدها هو الامام المهدي نفسه، القى الامن المصري القبض عليه وادع السجن بتهمة الاخلال بأمن الدولة، واعترف بوجود اتباع له في السعودية واليمن^(٣٨).

٣. المهدي السوداني (المحرر)

من اكثر الحركات المهدوية التي لقت رواجاً كبيراً واثرت في مجتمعاتها واجتذبت جمهوراً واسعاً، هي حركة محمد المهدي السوداني ابن عبدالله المولود في (البلب) شمال السودان (١٨٤٣ - ١٨٨٥)، حيث ادعى المهدوية في سن مبكر، وروج لها بانها تكليف الهي، وان الاوامر الالهية تصله في الرؤى والمنامات، انتشرت حركته بقوة

^(٣٧) اللقاء القبض على مدعي المهدوية في المغرب، اشكاين (دورية)، ١٤ مارس ٢٠١٢.
^(٣٨) مصري من قبائل العنزة يدعي انه المهدي المنتظر، الشبكة الوطنية الكويتية (فصلية)، العدد ٥٨، اغسطس ٢٠٠٨.
٢٠٩

وكان لها اتباع بأعداد كبيرة في كل مناطق السودان، وقد حقق انتصارات كبيرة، واليه يعود الفضل في تحرير السودان من الانكليز، بشن هجمات عليهم، استطاع تحرير الخرطوم، وعلان نفسه حاكما اعلى للسودان وانفصالها عن مصر وحكم الخديوي، وتعد حركة المهدي السوداني من اكبر الحركات المهدوية التي ظهرت في التاريخ لحد الان^(٣٩).

هناك حركة اخرى تبرز الان يروج لها رجل يدعي ان نسبه يرجع الى ال البيت يدعى (ابن مريم السوداني المسيح سليمان ابو القاسم) سوداني الجنسية، له موقع الكتروني اعتاد ان ينشر فيه مقالات تؤكد ادعائه بالمهدوية، وهو الان في السجن ليحاكم بتهمة الارتداد عن الدين في محاكم الخرطوم^(٤٠).

٤. المهدي السعودي

ظهر عام ١٩٨٠ رجل في السعودية يدعي انه المهدي المنتظر، اسمه محمد بن عبد الله القحطاني، قام هو ونسيبه (جهيمان العتيبي) -الموظف في الحرس الوطني السعودي- بمحاولة لقلب نظام الحكم واحتلال الحرم المكي في السعودية ابان عهد خالد بن عبد العزيز، ويذكر ان جهيمان كان له اتباع كثيرين وطلب من جموع المصلين مبايعة القحطاني وعلان ثورة ضد النظام، الا ان المحاولة باءت بالفشل^(٤١).

هذه تقريبا اهم الادعاءات المهدوية في المذاهب الاسلامية بشكل عام، وكان لها اتباع وحركات بأعداد كبيرة، وكثيرا ما اتبعت منج القوة في التأثير والاقناع، وهو ما جعل لها اثر ثقافي كبير في الدول والمجتمعات والاماكن التي ظهرت فيها، الا ان الادعاء لم يقف عند هذا الحد في المذاهب الاسلامية، فهناك كثير من اشخاص ممن ادعوا انهم الامام المهدي المنتظر في مناطق كثيرة من العالم، منهم مثلاً مدعي المهدوية في انطاكية بتركيا ويدعى محمد المهدي، ومدعي اخر ظهر في تونس، واخر في سلطنة عمان، واخرين في الامارات والاردن والكويت والهند واليمن^(٤٢)، وهم جميعا ظهوروا في البلدان الاسلامية في فترات مختلفة ودعواتهم متشابهة تقريبا في التوجه والادعاء بشخصية الامام المهدي (المنقذ او المخلص).

ثانياً: ادعاء المهدوية لدى الشيعة الامامية

^(٣٩) احمد فرج الله، ادعاء المهدوية، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٤، ص ٤٤.

^(٤٠) المصدر نفسه، ص ٤٤.

^(٤١) المهدي المنتظر في الحرم المكي، مقال منشور في دنيا الوطن (دورية)، السعودية، ١٣-٤-٢٠١١.

^(٤٢) اقيست بتصرف من: احمد فرج الله، المصدر السابق، ص ٣٦-٦٣.

كما ذكرنا انفاً، ان الادعاء ظهر في كل الديانات والمذاهب الاسلامية، الا ان ايمان بالمسلمين الشيعة وخصوصا الاثني عشرية منهم، بأطروحة الامام المهدي المنتظر بوصفها عقيدة دينية خاصة بمذهبهم العقائدي، جعل مشكلة الادعاء تتفاقم وتتعدد في مجتمعاتهم منذ غيبة الامام المهدي الاولى (الصغرى) والى يومنا هذا.

وفي هذا السياق، حرصنا على مناقشة الادعاءات والحركات المهدوية وتحولاتها الفكرية والاجتماعية في محورين: المحور الاول، سنناقش فيه الحركات والادعاءات المهدوية التي ظهرت في مذهب الشيعة الامامية في الماضي، والمحور الثاني، الحركات والادعاءات المهدوية وتحولاتها الاجتماعية التي ظهرت في العراق في الوقت الراهن، وعلى النحو الاتي:

اولاً: الحركات والادعاءات المهدوية لدى الشيعة الامامية - نبذة تاريخية

١. الدعوة الكيسانية

هي فرقة شيعية منقرضة، دعا اتباعها الى امامة محمد بن علي بن ابي طالب (ع)، المعروف بابن الحنفية بعد مقتل اخيه الحسين، ويؤكدون على انه الامام المهدي وهو وصي علي بن ابي طالب، وليس لاحد من اهل بيته ان يخالفه ولا يخرج عن امامته، وما خروج الحسن (ع) لمحابة معاوية الا باذنه^(٤٣).

٢. الدعوة الناوسية

وهم الذين قالوا ان جعفر بن محمد حي لم يمت حتى يظهر ويلي امور الناس، وسميت بذلك نسبةً لرئيس لهم من اهل البصرة يدعى عبد الله بن ناوس وهم يقولون بإمامة الستة (علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق)، ويزعمون ان الامام جعفر الصادق هو المهدي المنتظر^(٤٤).

٣. المباركية

وهي فرقة من الشيعة زعمت ان محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق (ع) هو الامام المهدي المنتظر، وسميت بالمباركية نسبةً الى رئيسها الذي كان يدعى "مبارك" وهو مولى اسماعيل بن جعفر.

٤. الاسماعيلية

^(٤٣) احمد فرج الله، المصدر نفسه، ص ٦٦.

^(٤٤) المصدر نفسه.

فرقة باطنية انتسبت الى اسماعيل بن الامام جعفر الصادق، وتدعوه بالامام المستور، لها فرق متشعبة وممتدة عبر التاريخ حتى وقتنا الحاضر، ويقال انها في حقيقتها تخالف العقائد الاسلامية الصحيحة، وتميل الى الغلو والتطرف لدرجة ان الشيعة الاثني عشرية يكفرون اعضاءها، ومن اهم حركاتها المنشرة في البلاد الاسلامية:

- **الاسماعيلية القرامطية:** ظهوروا في البحرين والشام، انشقوا من الامام الاسماعيلي نفسه، برز الكثير منه وروجوا لدعوتهم في بلاد الشام والعراق وبلاد فارس والخليج.

- **الاسماعيلية الفاطمية:** وهي الحركة الاصلية، بداية ظهورها في اليمن بقيادة الحسن بن الحوشب الذي اسس الدولة الاسماعيلية في اليمن سنة ٢٦٦هـ ، ثم اسس احد شخصياتهم وهو عبيد الله المهدي دولة اسماعيلية في المهديّة في تونس سنة ٢٩٧هـ وتابع بعده الفاطميون، المنصور بالله، الحاكم بامر الله... واخيرا المستنصر بالله الذي انقسمت بوفاته الاسماعيلية الفاطمية الى (نزارية شرقية) نسبةً الى ابن المستنصر الاكبر "نزار"، والى (مستعلية غربية) نسبةً الى الابن الاصغر الذي اعلن الوزير الافضل بن بدر الجمالي امامة المستعلي بعد تنحيته لنزار وموته في السجن، حكمت هذه الاسماعيلية في مصر والحجاز واليمن حتى سنة ٥٥٥هـ عندما زالت دولتهم على ايدي صلاح الدين الايوبي.

- **الاسماعيلية الحشاشون:** وهم اسماعيلية نزارية انتشروا في الشام وبلاد فارس والشرق، يفرطون في تدخين الحشيش، احد شخصياتها فارسي الاصل يدعى الحسن بن الصباح وهو يدعو الى الامام المستور.

- **اسماعيلية الشام:** وهم طائفة دينية نزارية ليست لهم دولة بالرغم من الدور الخطير الذي قاموا به ولا يزالون الى الان في منطقة سلمية في سوريا، ومن شخصياتهم راشد بن سنان الذي اسس مذهب السنانية الذي يعتقد اتباعه بالتناسخ .

- **الاسماعيلية البهرة:** وهم مستعلية، ومنهم اسماعيلية الهند واليمن، تركو السياسة وعملوا بالتجارة ووصلوا الى الهند واختلط بهم الهندوس الذي اسلموا وعرفوا بالبهرة، وهو لفظ هندي بمعنى التاجر، وهم قسمان داوودية، وسليمانية، نسبةً الى الرؤساء.

- **الاسماعيلية الاغاخانية:** فرقة ظهرت في ايران، ترجع عقيدتهم الى الاسماعيلية النزارية برئاسة حسن علي شاه.

- الاسماعيلية الواقعة: وهي فرقة اسماعيلية وقفت عند امامة محمد بن اسماعيل وهو اول الائمة المستورين، وقالت برجعته بعد غيبته^(٤٥).

٥. البشيرية/ محمد بن بشير

هم حركة اجتماعية تتبع محمد بن بشير مولى بني اسد من اهل الكوفة، تعتقد بغيبة الامام موسى بن جعفر (ع)، وانه القائم المهدي، وان الامام في غيبته استخلف زعيمهم محمد بن بشير وجعله وصيه واعطاه خاتمه، وفوض اليه امور رعيته، وعندما توفي محمد اوصى الى ابنه (سميع)^(٤٦).

٦. مدعي المهديوة/ جعفر الكذاب

هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع)، ادعى الامامة بعد اخيه الحسن رغم علمه بوجود القائم المهدي ، وقد وردت كثير من الاحاديث عن الائمة الاطهار حول انكار هذا الادعاء، كانت وفاته سنة ٢٨١هـ^(٤٧).

٧. النميرية النصيرية

وهي حركة انشأها محمد بن نصير النميري وكان من اصحاب الامام الحسن العسكري، ولما توفي الامام ادعى الوكالة للحجة، ولم يكتف بذلك، بل ادعى انه رسول ونبي من قبل الله وادعى الربوبية واباحة المحارم في طروحاته^(٤٨).

٨. البابية والبهائية

حركة اسسها علي محمد رضا الشيرازي (١٨١٩-١٨٥٠) وكانت في بداية الامر تبحث فكريا وسلوكا عن موجبات ظهور الامام المهدي وتهيئة الارضية المناسبة لاستقبال ظهوره، لكنها سرعان ما تحولت اليوم على لسان اتباعها دينا جديدا تطور بمرور الزمن واستقل وصار يدعو الى الاستقلالية التي تفصله عن الاسلام كدين، وظهر المهدي جزء من اعتقاده، وهو ما يطلق عليه اليوم بـ"البهائية او الديانة البهائية"، وان مؤسسه الشيرازي الذي بدأ باحثا في الامام المهدي المنتظر تحول اليوم الى المهدي نفسه، أو الباب المؤدي اليه،

^(٤٥) محمد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢، ص ٣٧٥.

^(٤٦) المصدر نفسه، ص ٣٧٦.

^(٤٧) محمد عبد الكريم الشهرستاني، المصدر السابق، ص ٣٧٥.

^(٤٨) المصدر نفسه

والبهائية كدين اليوم منتشرة في كثير من البلدان، ولها اتباع بالملايين، وتلقى رواجاً في أروقة الأمم المتحدة ، حيث خصص لها مقعداً وممثل عنها، ومن معتقداتهم ان الله ليس خالق كل شيء بل الخالق هو الباب، وهم يقولون بالحلول والاتحاد والتناسخ ، ويقصدون العدد ١٩ ، ويوافقون بعض الاديان بنبوءة انبيائها مثل، بوذا وبراهما وزرادشت، ويعتقدون بصلب المسيح، ويرتضون القرآن من المسلمين بشرط التأويل الباطني، ولا يعتقدون بالجنة والنار، وينكرون معجزات الانبياء، ويحرمون الحجاب، ولهم سنة حسابية يعتمدون عليها، ويصومون في الشهر التاسع عشر (شهر العلا) من هذه السنة^(٤٩).

٩. جماعة السفارة في البحرين

جماعة شيعية اسسها عبد الوهاب حسن البصري في البحرين عام ١٩٨٦، وأطلق عليها (جماعة السفارة أو باب المولى) حيث ادعى وهو في السجن (البحرين) الاتصال بسفير الإمام المهدي عليه السلام في المنام وأنه يتلقى الأوامر والنواهي عنه، وتابعه وآمن به بعض من كان معه في السجن، رغم ان تاريخ حياته كان متناقض مضطرب مليء بالشكوك والشبهات والغموض فقد رحل في أول عهده إلى إيران لتعلم العلوم الدينية، محسوب على التيار الشيرازي جماعة السيد هادي المدرسي، وبقي عدة أشهر باسم مستعار (تحسين)، ثم رحل منها إلى موسكو ثم توجه إلى الهند لتعلم السحر وفنون الشعوذة، وبعدها إلى إحدى الدول الأوروبية لتعلم اللغة الإنجليزية، وتوج رحلاته تلك في البحرين بعنوان مناضل تارة وأخرى سفير للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف^(٥٠).

قامت جماعتهم بأحلام وردية في السجن ثم تطورت إلى ادعاء أن الإمام المهدي قد عيّن شخصاً منهم باباً له بعد أن كان باباً للنائب الثالث (الحسين بن روح)، وبعد خروجهم من السجن خرجوا بدعتهم على مسألة اللطف الإلهي وأنه يقتضي أن يتكامل عباد الله ليصلوا إلى الدرجات العالية من الكمال البشري، ولا يصلون إلى ذلك إلا بأن يُعيّن المولى باباً له، ليُطلع الناس على الحقائق من أجل الإعداد للظهور، وهذا الإعداد يسمونه بالظهور الأصغر تمهيداً للظهور الأكبر، وبالتالي يستغنى عن الفقهاء، لأن الفقهاء يعيشون مرحلة الحكم الظاهري، وعليه فلا بد من الرجوع إلى باب المولى المعين فعلاً - كما يزعمون - وإن كان يقبل الانطباق على غيره ممن تتوفر فيه الصفات باباً للمولى.. وعلى هذه الفكرة قامت جماعتهم^(٥١).

^(٤٩) اقتبست بتصرف من: احمد فرج الله، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٩.
^(٥٠) مجتبي السادة، الإمام المهدي عليه السلام والادعاءات الكاذبة في العصر الحديث، المصدر السابق.
^(٥١) المصدر نفسه.

وعند خروج هذه الجماعة من السجن في نهاية الثمانينات، ثار ضدهم العلماء في البحرين لبدعية دعوتهم، وتم استفتاء المراجع وأجمعوا على بدعية دعواهم وضرورة مقاطعتهم، وعند انشغال الناس بأحداث التسعينات نشط هؤلاء في تكثير جماعتهم وركزوا على النساء وخصوصاً الثريات منهن، ومع الانفتاح الأخير استطاعوا أن يحصلوا على ترخيص لجمعية تحت اسم (جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية)^(٥٢).

الا ان استمرار نهضة فضلاء البحرين ضد هذه الحركة المشؤومة وتصدي لها بعنف وقوة تكلفت باستدعائهم المؤسس لها في محضر جمع غفير منهم وتحذره، وناقشوه حتى أظهر العجز والتسليم والإذعان ببطلان ما زعمه وروج له، ولما طلب الإقرار على ما آل إليه أمره قام بإنشاء اعتراف اعلن فيه براءته من الادعاء بهذه الرؤى والاحلام هو نوابه الاربعة^(٥٣).

ثانيا: الحركات المهدوية في العراق

من الواضح ان ظاهرة الحركات المهدوية ليست جديدة على الساحة الاسلامية والشيعية بشكل خاص، فهي قديمة بقدم تاريخ التشيع، وترتبط على الدوام كما اسلفنا على فكرة المخلص أو المنفذ، وتتبنى فكرة الامام المهدي بالاعتماد على الروايات والاحاديث الدينية، لتحاول من خلالها تحشيد المؤيدين، لكنها في السنوات القليلة الماضية ومع بداية الاحتلال الامريكي للعراق عادت للظهور مجددا وبقوة بعد انقطاع امتد لسنوات طويلة، والانكى من ذلك تحولها من التنظير والتبشير الكلاسيكي الى خيارات اخرى سياسية وعسكرية في تحول راديكالي شكل مصدر قلق وارياك لعملية اعادة النظام الاجتماعي وبناء الدولة الحديثة.

وعلى الرغم من محاولاتها بعث الحياة من جديد في فكرة جيش الامام المهدي الذي ينتظره المؤمنون ليخلصهم، فأن معظمها في العراق اليوم بات يواجه رفضا عاما لأفكارها من قبل المجتمع الشيعي والعراقي بشكل عام حتى قبل لجوئها للسلاح.

ان التحولات الكبرى التي مر بها العراق من احتلال، وتراكمات النظام السابق، وسيادة الثقافة التقليدية، وغياب القانون، والاصطفاف الطائفي، والتعثر في عملية بناء الدولة الجديدة، شكلت عوامل حاسمة في وجود هامشا

^(٥٢) مجتبي السادة، الإمام المهدي عليه السلام والادعاءات الكاذبة في العصر الحديث، المصدر السابق.

^(٥٣) احمد فرج الله، المصدر السابق، ص ٩٩.

اجتماعيا وسياسيا ساعد على انبثاق العديد من الحركات التي تتبنى فكرة الامام المهدي وتدعي تخليص المجتمع في العراق من الالوضاع البائسة التي يعيش فيها.

وفي هذا السياق سنحاول توصيف ابرز الحركات المهدوية التي ظهرت في العراق بعد سقوط نظام صدام عام ٢٠٠٣، وسنناقشها حسب تاريخ ظهورها على النحو الاتي:

١. الحركة السلوكية

جماعة قد تكون جامعة لكثير من الحركات التي تدعي المهدوية والسفارة في العراق، واللفظة مأخوذة من (السالك) وهو في المصطلح الصوفي المنخرط في الطريقة الصوفية والسائر في طريق الحقيقة والعرفات للوصول الى اليقين، وهي اقدم الحركات ظهورا في العراق ويرجح انها ظهرت في عام ١٩٩٨م بين صفوف طلاب حوزة النجف ايام نظام صدام، اشتهرت هذه الحركة بالدعوة لممارسة الظلم والردائل للتعبيل بظهور الامام المهدي أو تمهيد الظروف لظهوره، وقد طردهم المرجع السيد محمد صادق الصدر^(٥٤)، وهي منتشرة في النجف وبعض المحافظات الجنوبية، وهناك من عدها تيارا تنضوي داخله اكثر من جماعة، وقيادتها من عدة اشخاص، وترجح الدلائل بانهم من اتباع (الصرخي الحسني) المطرودين من حوزته، شعرت السلطات حينها بخطرهم، فالقت السلطات القبض على كثير منهم وشتتهم.

٢. جماعة السفارة/ حركة اليماني الموعود احمد الحسن

حركة مسلحة اسسها شاب من مواليد محافظة البصرة يدعى احمد اسماعيل كاطع، خريج كلية الهندسة، وطالب في الحوزة العلمية، ينحدر من عائلة لها ثقلها في البصرة، له اخوة واخوات حاصلين على شهادات ومراكز وظيفية مهمة في نظام صدام، بدأ الترويج لحركته التي أطلق عليها اسم (انصار الإمام المهدي) منذ عام ٢٠٠٢ عندما كان طالبا في حوزة النجف، وادخل السجن حينذاك بتهمة استثمار الدين لمعارضة النظام، وعندما خرج من السجن نشر دعوته بشكل علني في منطقة جامع السهلة في الكوفة عام ٢٠٠٤، بعد ان كنى نفسه بـ"احمد الحسن"، وانه (اليماني الموعود)، واستطاع ان يقنع اتباعه ويثبت لهم بالأدلة الدينية بان اليماني الموعود حجة من حجج الله ومعصوم، واول الداعين للأمام المهدي، والمكلف بتهيئة القاعدة لظهوره، وانه على اتصال به، ويتلقى الأوامر والتعليمات منه مباشرة، بل أمره بالتبليغ عنه وإظهار علاقته معه، وأرسله للإصلاح العلمي والعمل والالاقتصادي في الحوزة وفي المجتمع عموماً، واعلن مرارا انه على استعداد لمناظرة علماء الدين وتقديم

(٥٤) الحركات السلوكية من ملفات الاوراق السرية، المصدر السابق.

الأدلة لإثبات هذا الادعاء، وبعد مضايقتهم حينذاك من قبل القوات الاسبانية المتواجدة في النجف، هرب الى بساين البصرة، واستطاع تحشيد عدد كبير من الاتباع من العمارة والناصرية والقادسية، وفتحوا حسينيات وجوامع ومكاتب وياتوا يتجمعون فيها بكثرة، واخذ عدد من المهندسين والاساتذة الجامعيين وطلبة الدراسات الانضمام لها، واصدروا جريدتين (صراط المستقيم، وصرخة الحق)، شعرت السلطات بخطرهم على الدولة والمجتمع نظرا لادعاءاتهم الباطلة واستخدامهم السلاح ضد الحكومة وانتهاك تعاليم الدين وتأجيج الاوضاع، زيادة على حالات القتل للعلماء والاساتذة التي كثرت خصوصا في البصرة، الامر الذي دفع السلطات الى مدهمتهم، والقاء القبض على عدد كبير منهم، مما دفعهم الى الرد بالمقابل على الجهات الحكومية، دخلوا بمواجهات معها في عدد من المحافظات الجنوبية، اسفرت عن سقوط ضحايا بين الطرفين، لا زالت هذه الحركة تنشط في محافظة البصرة لحد الان^(٥٥).

٣. جيش المهدي

جماعة عقائدية شيعية مسلحة شرع بتأسيسها السيد مقتدى الصدر [نجل المرجع الشيعي السيد محمد محمد صادق الصدر] أواخر عام ٢٠٠٣ من الشباب اتباع والده ومقلديه الذين اجتمعوا حوله بعد اغتيال والده على ايدي نظام صدام، لم تتبنى الادعاء بالامام المهدي او احد سفرائه، انما استوحت اسمها بشكل تأويلي تيمماً بالجيش الذي سيشكله الإمام المهدي بعد ظهوره، وذلك من اجل استلهاهم الدافع والقوة لمقاتليه وأفراده، وتشير التقديرات اليوم الى ان عدد افراد جيش المهدي يقدر حوالي (٦٠-١٠٠) ألف مقاتل^(٥٦).

كان هدف الحركة في بادئ الامر خصوصا بعد تدهور الوضع في العراق عقب الغزو الأمريكي وسقوط نظام صدام، حماية المناطق الشيعية في بغداد ومنها (مدينة الصدر والشعلة) من الاعتداءات التي قد تتعرض لها من قبل القوات الأمريكية، وتوفير المساعدات إلى العوائل الفقيرة في المناطق ومساعدتهم، وكذلك حفظ الأمن والنظام فيها، لكن بعد إغلاق صحيفة الحوزة الناطقة التابعة للتيار الصدري في أبريل ٢٠٠٤^(٥٧)، وخروج مدن الجنوب في العراق بتظاهرات ضخمة مطالبة بخروج القوات الأمريكية، أعلن السيد مقتدى الصدر رسمياً خلال خطبة الجمعة عن تشكيل قوة جديدة تحت اسم (جيش المهدي)، بدأت تعمل بنظام السرايا حيث لا يتجاوز أعضاء السرية الواحدة غالباً الخمسين مقاتلاً من الذين ينضمون إليه عن طريق هيئات تشكلت في الحسينيات والجوامع المنتشرة في مناطق بغداد والمحافظات الجنوبية ويقود كل سرية قائد معين يتم تعيينه من قبل مقتدى

^(٥٥) مجتبي السادة، المصدر السابق.

^(٥٦) جيش المهدي، دراسة منشورة على موقع ويكيبيديا على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/جيش_المهدي تاريخ الاقياس: ٢٠١٧/٧/٥.

الصدر وأغلب السرايا تحمل أسماء شهداء التيار الصدري خلال حكم صدام حسين، ومن أبرز هذه السرايا، سرية الشهيد محمد الصدر في مدينة الصدر، وسرية الشهيد مصطفى الصدر في بغداد الجديدة، وسرية الشهيد مؤمل الصدر في منطقة الشعب وحي أور، نشطت هذه السرايا في بغداد ومحافظات العراق الوسطى والجنوبية، وشكلت فيما بعد قاعدة سياسية وعسكرية عريضة في المجتمع العراقي، دأب السيد مقتدى الصدر وانصاره، المراهنة عليها في الانتخابات والتظاهرات والعمليات العسكرية التي حدثت لاحقا، ووقفوا ضد قوات الاحتلال الأمريكي وسياساته، ودخلوا في مواجهات عسكرية معهم في ٢٠٠٤ حتى ٢٠٠٧، لحين أصدر الصدر قراره عقب اشتباكات الزيارة الشعبانية في كربلاء بتجميد أنشطة جيش المهدي كافة اعتباراً من آب ٢٠٠٧.

في شهر مارس من عام ٢٠٠٨، شنت الحكومة العراقية عملية عسكرية واسعة النطاق بالتعاون مع القوات الأمريكية والبريطانية في جنوب العراق، تحت مسمى [صولة الفرسان]، استهدفت بشكل خاص مناطق نفوذ جيش المهدي الذي لازال تحت التجميد، وحدثت اشتباكات بين قواته وقوات الامن العراقية في البصرة والناصرية والعمارة ومدينة الصدر، وبعد ايام من القتال الشرس اصدر مقتدى الصدر بياناً إلى افراد جيشه بوقف القتال والقاء السلاح، الامر الذي استثمرته قوات التحالف وقوات الامن العراقية وشنت عمليات دهم واعتقالات واسعة على افرادهم، وبعد ايقاف نشاط جيش المهدي انبثق منه تنظيمان:

الاول:لواء اليوم الموعود، وهو فصيل مسلح تشكل في ايلول ٢٠٠٨ ليكون بديلاً لجيش المهدي، استمر بتنفيذ عدد من العمليات العسكرية ضد الامريكان في مختلف محافظات العراق الى وقت دخول الجماعات المسلحة التابعة لتنظيم داعش الارهابي وسيطرتها على محافظة نينوى العراقية عام ٢٠١٤، حيث تم انخراطه ضمن تشكيلات (سرايا السلام).

الثاني:سرايا السلام، تنظيم عسكري شبه رسمي اعلن عن تشكيله السيد مقتدى الصدر على خلفية دخول داعش للعراق في بيان نشره على موقعه الرسمي، اغلب عناصرها وقياداتها يتبعون التيار الصدري وهم مقاتلون وقيادات في جيش المهدي او لواء اليوم الموعود، الحركات التي تم وقف عملها في السنوات الماضية، موضحا ان دورها سيكون حماية المقدسات الدينية في العراق من المراقد والمساجد والحسينيات والكنائس ودور العبادة مطلقاً من الخطر المتوقع، وانخرطت في القتال ضد داعش، وكان لها دور كبير حيث تمكنت من تحرير عدد من مناطق العراق وتأمين مناطق عديدة اخرى في سامراء وتطهيرها، وهي ممسكة الان الأرض في الاسحاقي وسامراء، فيما يتكون هيكلها التنظيمي من ٣ فرق كل فرقة تتكون من اربعة الوية، واللواء يتكون من اربع افواج،

والفوج يتكون من سرايا، عدد السرية الواحدة (٦٠ الى ١٠٠) متطوع، وتتخذ من محافظات الوسط والجنوب مقرات لها.

من الواضح ان هذه التنظيمات (سرايا السلام، واللواء الموعود) مثلت تطورا هيكليا لحركة جيش المهدي، القاعدة الاولى للحركة التي لم تتبنى يوما فكرة الامام المهدي مطلقا، لكنها حسب ما يدعى انصارها تستمد العزم من جيش الامام المنتظر المزمع تشكيله لتحقيق نظام سياسي واجتماعي في العراق ينعم بالعدالة والرفاه والاستقرار، وقد قامت هذه الحركة مؤخرا بالعديد من التظاهرات التي تدعو الى اصلاح النظام السياسي والاقتصادي واناخذ البلد من الفساد المالي والاداري.

٤. حركة جند السماء

حركة مسلحة اسسها ضياء عبد الزهرة الكرعاوي، عراقي من محافظة القادسية، خريج اكااديمية الفنون الجميلة في بغداد، يهوى الغناء والعزف على العود، ادعى أنه هو الإمام المهدي المنتظر، وما مهدي الشيعة ليس إلا خرافة أوجدها الشيعة، وان كثير من الشيعة وخصوصا الاثني عشرية يعتقدون بهذه الفكرة الضالة والباطلة جاعوا بها من أجل خداع الناس، لذلك ينبغي اظهار الحق والقضاء عليهم، شكل حركته في النجف على هذا الاساس، واستطاع التأثير على عدد من الاتباع واقناعهم بفكرته التي اوضحها في كتابه المعنون بـ(قاضي السماء) الذي تم نشره في العراق^(٥٧).

بلغ عددهم ما يقارب ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ شخص، وعلنوا الدعوة ضد رجال الدين في الحوزة لضلالتهم، واشتروا أسلحة ثقيلة ومتوسطة وخفيفة ومزارع في منطقة الزرقة احد الضواحي (شرق النجف)، لاتخاذها قاعدة لهم للتدريب وأعداد الانصار، وصفتهم السلطات العراقية حينها بـ" الارهابيون" ولديهم نوايا لمهاجمة مدينة النجف، والتغلغل في الأوساط الشيعية والاستيلاء عليها، وقتل المراجع واستباحة المدينة بشكل أولي، والانطلاق بعد ذلك إلى بقية المحافظات، وهاجمتهم القوات الحكومية والطائرات الامريكية في محرم ٢٠٠٧، في معركة بدأت بسيطة ثم تبين أنها معركة كبرى، تلقوا فيها ضربة عسكرية حاسمة، حدثت على اثرها مجزرة قتل فيها زعيمهم وعدد كبير منهم يقارب (١٠٠٠) قتل بينهم اطفال ونساء، وجرح واعتقل اخرين لا يزال الكثير منهم في السجون^(٥٨)، خلافا لذلك، هناك على ما يبدو امر يؤكد ان حادثة الزرقة قد وقعت في ظروف ما زالت غامضة

^(٥٧) بيان مجلس النواب العراقي حول حركة (جند السماء)، منشور على الرابط: <http://www.ira.com/mejles.php?ame....dline.sid=6907> ،
^(٥٨) المصدر نفسه.

لحد الان، يشير الى ان اكثر الذين قتلوا هم فلاحون بسطاء كانوا ذاهبين من منطقة الزرقة الى كربلاء للزيارة الامام الحسين (ع) سيرا على الاقدام.

٥. حركة الموطنون أو الامام الرباني

جماعة اسسها المدعو فاضل عبد الحسين المرسومي، عراقي من اهالي قضاء الخالص في محافظة ديالى، لقب نفسه بـ"الامام الرباني" ويدعي ان الله تجلى فيه وظهر به واعطاه النور الرباني، وانه وكيل الامام المهدي الموعود، يكلمه في اوقات معينة ويبشر بقرب ظهوره، ، ويدعو الى الاصلاح وتوحيد الاسلام بالعمل والتوحيد الالهي بالطرق السلمية، وهو من دعاة الخلافة الراشدية الفطرية الربانية، وقد بلغ عدد اتباعه ما يقارب الخمسة الاف شخص، وباتت تصدر له صحف ومجلات اسبوعية مثل (حقيقة الداعي) و(انصار الداعي) و(صيحة الظهور)، ويذكر ان المرسومي قبل دعوته كان شخصا معروفا في ديالى بفقره المدقع، لكن بعد نشاط حركته في ديالى أصبح كثير الأموال والاملاك^(٥٩).

٦. حركة المختار

حركة يتزعمها (الشريف حبيب الله - أبو علي المختار)، الداعي الى ما يسمى بـ" ثورة الحب الالهي" وهو شاب من أهالي بغداد الطالبية، تتلخص دعوته بانه بعد فشل كل الديانات والمذاهب في اقامة السلام قمنا بهذه الثورة التصحيحية للوصول الى الله مباشرة أو تصحيح العلاقة معه، دعوته تلغي كل الديانات، ويتبنى مزيج من الأفكار الصوفية والتبشيرية والمسيحية، وترفض كل مبررات العنف واشكال التعصب المذهبي والتشدد الديني، وان ثورته في الحب الالهي هي دعوة للتسامح والمحبة واصلاح الواقع من خلال الله، له عدد من الاتباع نشطوا في بغداد في منطقتي الطالبية والبنوك في عام ٢٠٠٨، تعرضوا الى اعتقالات واسعة من قبل السلطات العراقية ثم اطلق سراحهم مؤخرا^(٦٠).

٧.تنظيم المولوية

ظهرت هذه الحركة بعد سقوط النظام البائد، ولازالت تعمل باطار سري ورتيب، وسميت بـ(المولوية) لان اصحابها يكثر من ذكر مصطلح (الولي، المولى) واشتقاقاته، ولها تداخل وعلاقات مع قيادات الحركات الاخرى مثل حركة اليماني، وجند السماء، وابو علي المختار، يدعو اتباعها الى اسقاط التكاليف والاحكام

^(٥٩) احمد فرج الله، المصدر السابق، ص ٩٩.

^(٦٠) احمد فرج الله، المصدر السابق، ص ٩٩.

الشرعية، ويوجهون خطابهم الى الشباب الذين تتوفر فيهم بعض الصفات مثل (ضعف الارتباط بالعلماء، الجهل، الفقر، الاحساس بالمظلومية، الاستعداد للتمرد، البحث عن منقذ) وذلك من اجل تحويلهم الى اتباع ممسوخين وآلات بأيديهم، تؤكد على الطاعة المطلقة والتسليم الكامل، ولإثبات ذلك كثيرا ما تعرض اتباعهم الى اختبارات مثل التبرع بكل الملكية، وتطليق الزوجات، ثم يتم التراجع عنها، يعتمدون الهيكل التنظيمي العنقودي الدقيق والشديد السرية [يبدأ من العنصر الجديد الذي يسمى الموالي وينتهي بالإمام الحجة الذي يسمى المولى رقم (١)]، انطلقت هذه الحركة من محافظة بابل ثم انتشرت في محافظات بغداد وواسط وذي قار وميسان^(١١).

٨. وهناك حركات وادعاءات مهدوية اخرى كثيرة، تفرعت من الحركات المهدوية الكبيرة او الواسعة الانتشار، لكنها لم تلق راجا كبيرا اهمها:

١. حركة الممهدون: حركة تدعي ان الامام المهدي قد ظهر منذ عام ٢٠٠٨م، وان اليماني هو الوسيط بين الامام المهدي وبينهم، قيادتهم مجهولة، ويرجح انهم من اتباع السيد مقتدى الصدر وانشقوا عنه، وهم يدعون بأن السيد مقتدى الصدر هو اليماني، انتشرت هذه الحركة في الفرات الأوسط والجنوب العراقي وبعض مناطق بغداد، ذات نشاط محدود.

٢. اصحاب القضية: حركة محسوبة على الحركات المهدوية الاخرى او خرجت منها، ويعتقد ان هذه التسمية تطلق ايضا على حركة الممهدون، واليماني، والقحطاني^(٥)، وتنتشر في جنوب العراق، ويعدون الامريكان هم السفيناني المنتظر الذي يحارب الامام المهدي ، ينقسم اتباعها الى جماعتين:

الأولى: حركة روح الله، وتعتبر بأن السيد الخميني هو المهدي المنتظر، وانه لم يمض بل غاب وسيظهر ثانية، اوسع انتشار لها في مدينة العمارة.

الثانية: حركة النبا العظيم، وهي تعد السيد مقتدى الصدر هو المهدي، تنتشر في محافظة ميسان.

من الواضح ان ظاهرة الحركات المهدوية بعد ٢٠٠٣ ظهرت بقوة واخذت تزداد في ظل الاحتلال الامريكي، حيث ظهرت بأشكال وافكار ومناطق مختلفة، فلم تقف عند هدف ومنطقة محددة، وعلى ما يبدو هناك عوامل واسباب متنوعة ساهمت في ظهور هذه الحركات، حيث اجمع علماء الاجتماع والسياسة، ان للظرف الامني

^(١١) الحركة المولوية، مقال منشور في صدى المهدي (فصلية)، مركز الدراسات التخصصية، العدد ١٣، السنة ٢٠١٣.
^(٥) القحطاني، هو حيدر منشد القحطاني احد مدعي سفير الامام المهدي اليماني الموعود، مواليد مدينة العمارة، يقطن في مدينة الكاظمية في بغداد، يذكر اتباعه انه ذو ثقافة دينية وخلق رفيع، ادخل السجن في زمن نظام صدام وكان في زنزانة واحدة مع (احمد الحسن) مؤسس حركة اليماني الموعود في البصرة واعلن الولاء له، لكنه عندما خرج من السجن ادعى انه هو اليماني الموعود، وروج لدعوته في بغداد والمحافظات الجنوبية، ودخل في مناظرات مع احمد الحسن وغيره من العلماء في العراق وايران، اغتيل على يد مجهولين في بغداد.

والسياسي السيء الذي يمر به العراق خلال هذه الحقبة التاريخية، وغياب القانون والرقابة الحقيقية التي تحكم الاحزاب والحركات، والظلم وسوء الوضع الاقتصادي لعدد كبير من ابناء الشيعة خلال سنوات نظام صدام السابق، زيادة على تمسك الشيعة الشديد بعقائدهم الدينية وخصوصاً قضية الامام المهدي المنتظر، كلها عوامل ساعدت على ظهور هذه الحركات في العراق الان.

المبحث الرابع

الابعاد السياسية للحركات المهدوية في العراق

ان المراجعة النظرية لموضوع هذه الدراسة، كشف لنا تاريخاً غنياً وزاخراً بالحركات والجماعات والافراد الذين يدعون الامام المهدي أو احد سفرائه، وكشف لنا ايضا ملامح وسمات واهداف الحركات المتوخاة من هذه الادعاءات، والاثار البالغة التي تتركها في البلدان التي تظهر فيها، فبعض هذه الحركات حول مسار سياسات الدول، والبعض الاخر حكم دولا بأكملها لحقب طويلة كما في الحركة المهدوية التي ظهرت في السودان.

وفي العراق اليوم، إذ يتم التأسيس لدولة جديدة على أنقاض دولة مركزية دكتاتورية، ويواجه في الوقت نفسه أخطر هجمة دموية حاقدة من قبل تنظيم داعش الارهابي والمستفيدين من نظام صدام البائد، زيادة على ظهور سياسيين غير مؤهلين لبناء دولة في ظل سياسات جديدة، وهو ما أدى بالتالي الى بروز في الواقع السياسي الجديد العديد من الاشكاليات والتناقضات الفكرية والموضوعية، قد يكون للحركات المهدوية موضوع هذه الدراسة جانب كبير فيها، من هذا حرصت على تناول ايدولوجية هذه الحركات وابعادها السياسية في واقع الاجتماع السياسي الراهن في العراق، معتمداً على تراث هذه الحركات وواقعها السياسي والعقائدي على الساحة السياسية العراقية، وذلك من خلال مناقشة المحاور الآتية:

اولاً: الثقة في النظام السياسي

لا شك ان موضوع هذه الدراسة ينطوي على اهمية وحساسية نظرا لمساسه بموضوع عقائدي غير قابل للنقاش لدى فئة كبيرة من افراد المجتمع في العراق بوصفه امر ألهي يتضمن قضايا تدخل ضمن " التفويض الألهي " وما يحمله هذا الامر من اعتقاد يترتب عليه عدم الوثوق بالأنظمة السياسية التي تظهر في الساحة السياسية كافة حتى وان كانت من اختيار الشعب، وذلك انطلاقاً من تكليفهم الشرعي بانتظار الامام المهدي ونصرته بعد ظهوره.

ان ايمان المرء بوجود نظام سياسي يعمل بتفويض الهي ويحقق السعادة والرفاه للجميع يعد اعتقاداً ضامناً ويحمل امال رائعة للإنسان في المستقبل، [وهي حتمية الاعتقاد بالإمام المهدي لدى الشيعة في العراق]، لكنه من جانب آخر، فتح الباب واسعاً امام طلاب السلطة والجاه والمتريصين للعراق للدعاء بهذا الاعتقاد واستثماره في انشاء حركات عقائدية تحمل اسمه او تدعي هي ممثلة عنه او عن احد سفرائه زوراً وباطلاً محاولة الاستحواذ على هذا الامتياز او التفويض الالهي، واذا لم يسمح لها لا تنهون في اللجوء الى قوة السلاح، وقد لعبت مسألة غيبته وطول مدتها، فضلاً عن نشره القسط والعدل بين عامة الناس، دوراً كبيراً في كثرة هذه الحركات وتنوعها، الامر الذي انعكس بشكل واضح على عملية بناء الدولة الجديدة في العراق ودرجة استقرارها، هذا من جانب، ومن جانب آخر، ان موضوع الاعتقاد بالتفويض الالهي المرجو في المستقبل يبدو انه يترك إشكالية رئيسية أخرى يدور حولها محور هذه النقطة من الدراسة، وهي ان وجود أنظمة سياسية تستند على قوانين وضعية في حكم الدولة يتناقض بشكل واضح مع فكرة التفويض الالهي، وهو امر زرع ثقة المجتمع بالنظام السياسي الوضعي مهما كان عادلاً وديمقراطياً، وشكل ذريعة لكثير من ادعاء المهديين وحركاتهم لتبني فكرة الامام المهدي ورفع السلاح بوجه الحكومة ونظامها السياسي برمته، ونظرة سريعة للحركات المهديّة التي وردت تفصيلاتها في الدراسة نجد ان معظمها اذا لم نقل جميعها رفعت شعار معارضة الحكومات وبقوة السلاح، ادخل العراق في وضع سياسي مضطرب.

ان دعوى بأن ديننا الإسلامي متكامل، ولسنا بحاجة الى اخذ أي تجربة إنسانية وضعية، يمثل شمولية فيها اشكال كبير كما يذكر المفكر الاسلامي العراقي "احمد الكاتب" حيث يقول، انا أرى ان الساحة السياسية تركها الإسلام عن عمد للعقل والتجارب الإنسانية، فلم يتدخل في تفاصيل النظام السياسي، لا في القران الكريم ولا في السنة النبوية، فكيف يكون النظام السياسي؟ وكيف ينتخب؟ وكيف يتشكل؟ هذه الأمور كلها تركها الاسلام للامة لكي تبدع فيها وتطورها، فكما معلوم ان الأصل في الدين هو التعبد، أي عدم الابداع وكل بدعه حرام في الدين، ولكن الأصل في القضايا الإنسانية هو الابداع وليس التعبد، أي الابداع وإنتاج أي نظام جديد، وإذا حددنا حدود الدين وحدود المسموح به إنسانياً وعقلياً، فسوف نفتح انسانياً على اية تجربة غربية او شرقية، وهذا لن يضر ديننا، التجربة الغربية هي عدة تجارب مختلفة وليست تجربة واحدة، وبإمكاننا ان نقبس الإيجابيات بما يتوافق مع ديننا واخلاقنا ومبادئنا وثقافتنا، ونترك الفلسفة الغربية المادية^(٦٢).

(٦٢) احمد الكاتب: الفكر الشيعي الان تجاوز الفكر الامامي الاثني عشري، حوار مع ((صحيفة الوقت)) بتاريخ مارس، 2007، 19th، منشور على الموقع <http://www.alwaqt.com/art.php?aid=44713>:

من هذا تتضح الإشكالية بين التعبد والابداع، الا ان اغلب ادعاء الحركات المهدوية في العراق يرفضون الابداع الانساني ويزعمون انه مكرسا في زعمائهم وبأوامر من الله، الامر الذي يجعل هذا الارتباط الإلهي المزعوم عامل لانعدام ثقة الناس برجال السياسة وأنظمتهم السياسية وطرائق الحكم والدولة العراقية برمتها، بالتالي سيجعل النظام السياسي وشكل الدولة في ضوء وجود هذه الادعاءات، تناقضات فكرية بين العقيدة والواقع، ستؤثر بشكل مباشر على بنية المجتمع خصوصا وانه يمر في مرحلة تحول خطيرة قد تدخله مرة أخرى تحت حكم نظام شمولي اخر لكن بصيغة دينية زائفة بعد ان خرج من حكم القومية الزائفة.

ثانياً: النزوع للثقافة التقليدية

في واقع الاجتماع السياسي العراقي الجديد، ظهرت العديد من التناقضات والاشكاليات الفكرية والموضوعية نتيجة عدة عوامل منها تاريخية واخرى آنية، ففي حقبة نظام صدام البائد قبل عام ٢٠٠٣ كانت أدوار الافراد والمؤسسات في المجتمع متوقعة وتسير وفق ما مخطط لها لمدة ٣٥ سنة تقريبا، وهي حالة استاتيكية مفروضة، لكن بعد حصول التغيير وانفتاح العراق على العالم المتطور في كافة المجالات، تعرض المجتمع في العراق لحالة من التناقض والارباك نتيجة اختلاف الوضع من الرتبة والتقليد الى الانفتاح والاتصال العالمي، الامر الذي ادخل العراقيين بما اطلق عليه عالم الاجتماع "وليم اوكنبرن" بـ "الفجوة الثقافية".

العراقيون بعد ٢٠٠٣ لم يجتازوا هذه الفجوة وركوب الموجة نحو التطور والارتقاء، انما نزعوا الى نظامهم الاجتماعي القديم وثقافتهم التقليدية خصوصا في مجالات الحكم والسلطة الوراثية، بيد ان للحركات المهدوية دورا مهما في هذا النزوع الى التقليد والتأكيد على شرائطه التقليدية، فتمسكها وادعائها التفرد بالسلطة الدينية والسياسية موضوع لعب دورا في ترسيخ السلطة الوراثية والدعوة لها، وذلك بغية ملك الدولة، وإخضاع افراد المجتمع بكل الوسائل والطرق وصولاً للهيمنة على المقدرات الاقتصادية، ثم ان استخدام الإرهاب والعنف في حالات الضغط مرة على الحكومات وأخرى على المجتمع من اجل تحقيق غايتها وأهدافها ولن يستثنى من ذلك حتى الذين هم في السلطة، يشكل منها "جماعات الضغط" تنزع الى القوة في تحقيق مطالبها وليس أحزاب وحركات ديمقراطية سلمية وسلطات على غرار ما موجود في العالم في قدر عالي من المسؤولية تجاه الأوطان والأخلاق الإنسانية. الامر الذي يجعل الصراع المسلح بين الاطراف المتنافسة هو السائد في العراق وكأنها تعيش في حالة صراع قبلي.

من جانب اخر، ان الرمزية والصنمية التي تقوم عليها معظم الحركات المهدوية بالاعتماد المطلق على زعمائها في امور الحياة كافة يشكل بعدا سياسيا ساهم في النزوع الى التقليد من خلال مظاهر التقديس والرهبة التي

ترسم للزعماء والقادة في السابق، وعلى الرغم من عيش افراد المجتمع في واقع النظام الشمولي السابق وتأثرهم في سياسته الهوجاء بقى هناك بعض منهم يحمل اثر ثقافي لتلك السياسة كالتأثر بالرموز مثلاً، كل هذه العوامل جعلت كثير من العراقيين يسعون الى هذه الرمزية الفردانية من اجل الظفر بمتطلبات الحياة مستغلين كل طاقاتهم للوصول لها.

وعلى هذا الاساس، يعد نزوع الحركات المهدوية الى احتكار القوة والسلطة بشكل وراثي مطلق، والتمسك بالزعماء والرموز وتنقيف الناس على حقهم في القيادة، يعد عجزاً ثقافياً لهذه الحركات، وبعداً سياسياً واضحاً سترك اثار ملموسة على النظام الاجتماعي في العراق.

ثالثاً: تصادم الديني والسياسي

يمثل الصراع الديني والسياسي احد الابعاد السياسية لظاهرة الحركات المهدوية في العراق، فمن الواضح والمعروف ان العراق من المجتمعات ذات الغالبية المسلمة، وما يحمله هذا الواقع من تناقضات مع الأفكار العالمية الجديدة التي تعمد السياسات الوضعية، حيث لم تكن هذه الحركات بعيدة عن تأجيج هذا التصادم بين الديني والسياسي، وفي تصور لهذه العلاقة يذكر احد الباحثين في علم الاجتماع السياسي، ان العلاقة في نظر مريدي هذه الحركات لا وجود لأدنى تناقض بين الدين والسياسة، اذا ان ثقافة الهيمنة السائدة لدى معظم هذه الحركات تشيع التداخل بين وظائف المؤسسات، فهم بعادتهم لا يؤمنون بالفصل بين وظيفة المؤسسة الدينية ووظائف مؤسسات المجتمع الأخرى، وعلى الرغم من انهم يرفضون ان تتدخل أي مؤسسة في وظائف ومهام حركاتهم، فأنهم يرضون ان تكون حركاتهم ورجالاتها المتحكم الأساس في وظائف ومهام المؤسسات الأخرى، وخصوصاً المؤسسة السياسية. وفيما يخص هذه الأخيرة (المؤسسة السياسية) فأن الامر بالنسبة لمعظم الحركات، كما يقول أحد الباحثين، لا يدور حول تقديس ما، ولكنه يتلخص ببساطة متناهية بما يدعي ب (اسلمة السياسة)، اذ انهم يرون ان السياسة بصورتها (الوضعية) الحديثة تبتعد عن الدين كثيراً^(٦٣).

ان الدين منهج وعقائد ثابتة والسياسة لعبة، ومن ذلك تتافر الطرفان وتصارعاً في محاولة كل منهما لأسباب طابعه الذي يريده على الآخر، فالقضية تبدو ان هناك تقارباً الا ان الامر يشير الى خضوع أحدهما للآخر، فقد تخضع السياسة للدين لقوته وقد يخضع الدين للسياسة لقوتها، أي ان النتيجة هي ضعف طرف على حساب

^(٦٣) علي وتوت، إشكالية الديمقراطية في المجتمعات الإسلامية-٥، بحث منشور على الموقع: الحوار المتمدن-العدد: 1792-11/1/2007، <mailto:witwitali@yahoo.com?subject>

آخر وليس تقارباً أو تفاهماً والذي لا يحدث إطلاقاً^(٦٤)، وبهذا نكون امام حالة من الصراع يكون الحسم فيها لصالح من يستخدم القوة، وهو الامر الذي عولت عليه هذه الحركات بقوة، اي بمعنى ان استخدامها للقوة يمكن ان يكرس هيمنتها على السياسية، وهو ما يخلق بالتالي تنافر بين الطرفين.

وبهذا الشكل بات تصور هذه الحركات عن قياداتها بشكل خاص للسياسة في العراق كانت قيادة تصادية لم تعرف الاستقرار، مما يدل رفض او عدم تأقلم السياسة بشكل كبير مع هذه القيادات، فحدث التصادم وليس التوافق والتوائم، وان ما يؤكد حكمنا حول صراع مريدي هذه الحركات مع السلطة السياسية في العراق، هو محاولتهم اقناع العراقيين بسيطرتهم المطلقة الالهية على زمام الامور السياسية ودعوتهم لقبولها، الامر الذي خلق تأزماً واضحاً مع ما يناقض ما يؤمن به وهو منهج السياسة والدولة، ومن ذلك برز التسطح والتغريب والتباعد والانزواء والتصادم بين الطرفين الى حد التمزق والتقاطع في اغلب الأحوال، ومن جراء ذلك ظهرت الفجوة الكبيرة بين الدين والسياسة ومحاولة كل منهما تسيير الآخر حسب وجهته، ومن ذلك انتفضت السياسة بشرائطها محاولة تطبيق مبدأ "خير وسيلة للدفاع الهجوم" فباتت لنا الصورة بمحاولات اختراقية، وانما هي في الأصل وسائل للدفاع ليس الا^(٦٥).

لكن مشكلة هذه الحركات انها قد وقعت في شباك وسائل السياسة الدفاعية، فمالت الكفة بها نحو التخبط والفوضى وعدم معرفة السبل لتجاوز هذه المحنة، نتيجة عدم وجود نظم سياسية بشكل محلي يناسبها في الحجم الى التشبه بالنظم الربية وممارساتها، ونتيجة لذلك يبقى الواقع السياسي العراقي مبتلى بتعطيل وهدر للطاقات العقلية والبدنية وهدر للأموال وتخريب للبنى التحتية جراء المواجهات المسلحة مع القوات الأمنية من اجل الظفر بالمنى، ومقدم لقتلى وايتام وارامل كمخلفات، وصابراً على وقف عجلة التطور الفكري لدى الشباب، وناظراً كيف تسرق خيرات الشعب باسم الدين وبحجة تهيئة القاعدة المادية للسيطرة السياسية، ومتحملاً أوهام ناتجة من تزواج الجهل مع الميتافيزيقيا^(٦٦).

ومما تقدم يتضح انه على الرغم من قوة هذه الحركات، الا انها لم تفرض قوتها بشكل نهائي على الطائفة السياسية، فالسياسة غير الدين لذا كان التنافر هو دائماً حصيلة الصراع بينهما وعدم الاتفاق، فما ممارسة الادعاءات المهدوية على السياسة هو تسيير قدر الإمكان مع التحفظ من السلبيات التي انتجتها النظم السياسية والتي كانت تشذ عن المبادئ الدينية الإسلامية، الامر الذي خلق طابع عام لدى المجتمع السياسي في العراق

^(٦٤) متعب مناف السامرائي: تناقضات الفكر، مقال منشور في مجلة النبأ، العدد ٨٥، بتاريخ، نيسان ٢٠٠٧.

^(٦٥) المصدر نفسه

^(٦٦) المصدر نفسه.

يؤيد بناء منظومة سياسية وإدارية بعيدة عن الحركات الدينية المشوهة للعقيدة الإسلامية، بالتالي نكون قد استنتجنا بأن كثرة الحركات وادعائها الحق في الإدارة والسياسة باطلا ، جعل بالسياسة ان تتأى بنفسها من هذه الادعاءات ومريديها الامر الذي انعكس بشكل سلبي على علاقة الدين السياسة بشكل عام.

• **استنتاجات الدراسة وتوصياتها.**

اولا: الاستنتاجات

من خلال الدراسة والبحث النظري لأدبيات العقيدة المهدوية وما رافق هذه القضية الربانية من ادعاءات متنوعة ومنذ القدم، الامر الذي يجعلها ان تترك اثار ومخلفات كثيرة في البلدان التي تظهر فيها، وعند دراسة هذا الموضوع توصل الباحث الى النتائج الاتية: -

- العقيدة المهدوية قضية الهية، ومسألة تحقيقها وتنفيذها مرتبطة بالله سبحانه وتعالى وبأعجاز إلهي.
- هناك فرق بين العقيدة المهدوية الإلهية، والحركات المدعية بالإمام المهدي (عج).
- العقيدة المهدوية هي بعيدة عن الأفعال الإنسانية، وكل ما يحدث من إشكاليات ومغالطات حول قضية الامام المهدي في الواقع العراقي ماهي الا أفعال إنسانية وضعية.
- اغلب الحركات المهدوية تترك اثار نفسية سلبية على السياسيين والمؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.
- غاية الحركات المهدوية المدعية ومدعيها، هي غايات سياسية واجتماعية واقتصادية.
- مدعي هذه الحركات، يشعرون بأحباطات نفسية واجتماعية يحاولون تعويضها.

ثانياً: التوصيات

- ضرورة قيام رجال الدين بتنوير الفكر البشري بالغاية الاسمي للعقيدة المهدوية، وتمييزها او توضيح غايات وحقيقة الحركات المدعية بالإمام.

- التعامل بموضوعية مع قضية الامام المهدي "عج" وعملية ارتباطها بالخالق، وعدم التدخل بها من قبل الانسان.
- تنوير الأجيال البشرية بالحقيقة الإلهية، والغاية والهدف الذي أراده الله من هذا الوعد.
- على رجال السياسة القائمين على الدولة احتواء مثل هكذا حركات إنسانية وإشراكها في العمل السياسي والمشاركة في قيادة الدولة ايجابياً ووفق قوانين الدولة الموضوعة كي لا تكون عبئاً وانما عوناً.
- وضع قوانين لتنظيم الأحزاب والحركات وذلك لسد الطريق امام الذين ينظمون حركات وأحزاب خارج القوانين الإلهية والوضعية المتفق عليها.

قائمة المراجع

اولاً: الكتب

١. القرآن الكريم.
٢. إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ط٣، ١٩٩٨.
٣. الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن.
٤. احمد فرج الله، ادعاء المهديّة، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٤.
٥. السيد محمد محمد صادق الصدر، موسوعة الامام المهدي، ج٢، ٢٠٠٨.
٦. سنن ابي داوود، كتاب المهدي، ص١٠٩، منشور على الرابط: www.hadith.al-islam.com
٧. كاظم القزويني، الامام المهدي من المهد حتى الظهور، بلا عنوان، بلا سنة.
٨. كمال السيد، الإمام المهدي نظرة في التاريخ ورؤية للمستقبل، بيروت ٢٠٠٢.
٩. تشارلز تيلي، الحركات الاجتماعية ١٧٦٨-٢٠٠٤، ترجمة وتقديم: ربيع وهبه، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٥.
١٠. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج١، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بلا سنة نشر.
١١. محمد الأردني: الكتاب المقدس تحت المجهر، بلا عنوان، ٢٠١٤.
١٢. محمد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: احمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢.

١٣. محمد المهدي، معجم المعاني الجامع، كتاب منشور على الرابط : www.almaany.com.dict.ar_ar

١٤. أحمد فؤاد الأهواني، ما يقال عن الإسلام: الخلافة و الإمامة، مجلة الازهر، السنة التاسعة و الثلاثون،
١٥. احمد الكاتب: الفكر الشيعي الان تجاوز الفكر الامامي الاثني عشري، حوار مع ((صحيفة الوقت)) بتاريخ
مارس ٢٠٠٧، منشور على الموقع <http://www.alwaqt.com/art.php?aid=44713>
١٦. محمد رضائي محمد، هفوات الناقلين: قراءة نقدية لآراء كديور حول الإمامة و التاريخ، مترجم: منال
باقر، مجلة نصوص معاصرة.
١٧. عبدالجبار الرفاعي، الإمامة: تعريف بمصادر الإمامة عند الإسلاميين، مجلة تراثنا، السنة الخامسة،
العدد ١.
١٨. صدى المهدي، (دورية)، العدد ٧٩، اذار ٢٠١٧.
١٩. مدعي المهدي في المغرب، اشكاين (دورية)، ١٤ مارس ٢٠١٢.
٢٠. مصري من قبائل العنزة يدعي انه المهدي المنتظر، الشبكة الوطنية الكويتية (فصلية)، العدد ٥٨،
اغسطس ٢٠٠٨.
٢١. المهدي المنتظر في الحرم المكي ، مقال منشور في دنيا الوطن (دورية)، السعودية، ١٣-٤-٢٠١١.
٢٢. متعب مناف السامرائي: تناقضات الفكر، مقال منشور في مجلة النبأ، العدد ٨٥، نيسان ٢٠٠٧.

ثالثاً: مواقع الانترنت

٢٣. ابراهيم غانم البيومي ، الحركات الاجتماعية.. تحولات البنية وانفتاح المجال، ٨ مايو/ ايار ٢٠٠٤،
منشور على الرابط: [http:// www. Islamonline.net/Arabic/mafahem/2004/05.shtml](http://www.Islamonline.net/Arabic/mafahem/2004/05.shtml)
٢٤. مجتبی السادة، المهدي المنتظر في فكر الشيعة الامامية، دراسة منشورة في مركز الدراسات
التخصصية في الامام المهدي على الرابط: www.m-mahdi.com
٢٥. عماد جميل خليف، العولمة والعالمية المهدوية، منتديات صرخة الامام الحسين، بحث منشور على
الرابط: <http://www.m-mahdi.com>
٢٦. جريدة غانم: النظرية المهدوية وصناعة التاريخ، بحث منشور على الرابط: Specialist studies
[center 2009 of Al-Mahdi [A-s
٢٧. نولة درويش، هل نحن ازاء حركة بالفعل ام ازاء منظمات محددة؟، ٤ مارس/ اذار ٢٠٠٤، في موقع
على الانترنت: [http:// www.kefaya.org/reports/0403naola](http://www.kefaya.org/reports/0403naola)
٢٨. الحركات السلوكية من ملفات الاوراق السرية، بحث منشور على الرابط: www.m-mahdi.com
٢٩. المخلص في تاريخ العراق القديم، مقال منشور في مركز دراسات التخصصية في الامام المهدي عليه
السلام: <http://www.m-mahdi.com>

٣٠. جيش المهدي، دراسة منشورة على موقع ويكيبيديا على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/جيش_المهدي
تاريخ الاقتباس: ٢٠١٧/٧/٥.

٣١. بيان مجلس النواب العراقي حول حركة (جند السماء)، منشور على الرابط:
<http://www.ira.com/mejles.php?ame...dline.sid=6907>

٣٢. علي وتوت، إشكالية الديمقراطية في المجتمعات الإسلامية-٥، بحث منشور على الموقع: الحوار
المتمدن-العدد: 11/1/2007-1792، <mailto:witwitali@yahoo.com?subject=11/1/2007-1792>.

رابعاً: الرسائل والاطاريح

٣٣. نصيف جاسم عاتي، التنوع الثقافي وبناء الدولة المدنية في العراق، دراسة سوسيولوجية ميدانية،
اطروحة دكتوراه غير منشورة من جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٦.